أولادنا

٣٦

الطفلة المدلّلة

تأليف : الكونتيس دى سيجور

ترجمة : الدكتورة زهيرة البيلى

الطبعـــة الثانيـة



دار المعارف

• الغلاف رسم : منـال بـدران

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج . م . ع .
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

الطفلة المدلّلة

إلى حفيدى « لوى دى سيجور » :

طفلى الحبيب ، أنت كريم وقوى مثل الأسد ، وديع مثل الحمل ، وهادئ مثل الملاك . عندما تقرأ قصة « جيزيل » احرص ألا تقلدها ، فبدلا من أن تكون مثل الحمل فهى مثل الثعلب . اعرف أنك لن تغضب لأننى أقارنك بهذه الطفلة الشريرة ، ولكن عليك أن تشكر والدك ووالدتك لأنهما ربياك على أحسن وجه ، فأصبحنا لا نرى فيك أية عيوب ، إن صفاتك الحميدة تبدو لنا فى أروع صورها . أنه رأيى فيك يا حبى الكبير .

جدتك التى تحبك
الكونتيس دى سيجور

جيزيل الملاك

عاد السيد والسيدة « نيرى » وطفلاهما منذ بضعة أيام إلى باريس . شقيقتاه « بلانش » و « لورانس » – الأولى فى الثامنة عشرة من عمرها ، والثانية فى السادسة عشرة – تقيمان معه منذ أربع سنوات بعد وفاة أمهما . فمن قبلُ كانتا تقيمان مع شقيقتهما الكبرى « ليونتين » التى تبلغ الثالثة والعشرين من العمر . لكن لأن « جيزيل » ابنة أختهما – فى السادسة من العمر – صفاتها سيئة وضعف شقيقتهما الكبرى وزوجها وكثرة تدليلهما لهذه الطفلة الوحيدة دفعهما إلى العيش مع شقيقهم « بيير دى نيرى » .

بعد أن عاد السيد « دى نيرى » من رحلته الشتوية فى روما وجد شقيقته « ليونتين » التى يحبها كثيرًا فى باريس .

وفى صباح أحد الأيام وبعد أن أبدت « جيزيل » غضبها أمام خالها ، حاولت « ليونتين » أن تؤكد لأخيها هدوء ورقة ابنتها ، لكن لم يستطع « بيير » أن يمنع نفسه من أن يقول لها :

– أؤكد لك يا « ليونتين » أنك مازلت لا ترين عيوب « جيزيل » إنها فعلاً طفلة غير محتملة .

ليونتين :

– لكن كيف تكونت لديك هذه الفكرة الخاطئة يا « بيير » فالجميع يرون أنها قد تغيرت تمامًا ، وأصبحت فى غاية الوداعة .

بيير :

– أريد أن أصدق ما يقال لك ، لكن ما لا أستطيع أن أصدقه فعلاً هو أنهم يقولون الحقيقة .

ليونتين :

– لقد أصبحت صارمة معها أعاقبها كلما لزم الأمر .

بيير (مبتسمًا) :

– وهى بالطبع لا تستحق العقاب أبدًا .

ليونتين :

– هذه حقيقة ، لقد أصبحت طفلة رقيقة ومطيعة ، أما أنت فصارم دائمًا مع الأطفال ولا تتحمل ضوضاءهم .

بيير :

– حقا إننى لا أتحمل صراخهم أو عنادهم ، لكن ألعابهم وسرورهم فأنا أحبها وأشارك فيها ، فيما عدا ذلك فلك مطلق الحرية فى تربية ابنتك ، الآن وقد وعدت طفلىّ بأن أشترى لهما بعض الزهور ليقدماها « لتونمى » فى عيد ميلادها ، سأنصرف وإلى اللقاء يا أختى .

بالرغم أنها لم تكن سعيدة لحكمه على طفلتها المطيعة قبلت « ليونتين » أخاها وعادت لتجلس فى مقعدها المريح ، ظلت هكذا تفكر بضع لحظات وشيئًا فشيئًا بدا الضيق واضحًا على وجهها ، فأخذت تقول لنفسها : إنه لأمر محزن أن أرى كل العائلة ضد طفلتى المسكينة ، كل هذا لأننى وزوجى نعاملها ببعض التدليل منذ أن كانت صغيرة ، لهذا السبب يرون أنها طفلة غير محتملة . مسكينة يا ملاكى الصغير .. كم أنت طفلة وديعة .

بينما كانت السيدة « جرفيل » تحدث نفسها عن محاسن ابنتها ، عاد « بيير دى نيرى » إلى بيته وهو يحمل باقة الزهور التى ذهب ليريها لزوجته .

– انظرى إلى هذه الزهور الجميلة لقد أحضرتها للأطفال ليصنعوا منها العديد من الباقات الصغيرة .

تونمى :

– إنها ورود رائعة خاصة وردة « الكاميليا » هذه ، أعطنى هذه الزهور فأنا أخشى أن يفسدها الأطفال فما زالوا صغارًا .

بيير :

– لا أستطيع أن أرفض لك طلبا يا عزيزتى ، خذى زهور « الكاميليا » واتركى لهم « الليلاه » و القرنفل » .

– شكرًا يا عزيزى .

أسرعت « تونمى » بأخذ زهور « الكاميليا » وفرع أبيض جميل من زهور « الليلاه » .

بيير :

– كفى .. كفى .. فلن يبقى للأطفال شىء .

أخذ « بيير » ما تبقى من باقة الزهور وذهب إلى طفليه .

جورج :

– يا أبى .. يا أبى .. إننا فى انتظار الورود .

دى نيرى :

– نعم ، إنها فى غاية الجمال ، فيمكن الآن أن تصنعا منها باقات عديدة . ووضع « بيير » الزهور التى كان يخفيها خلف ظهره على المائدة ، فصرخ الأولاد من شدة الفرح : « إنها زهور جميلة ، إنها زهور جمياة ، شكرًا يا أبى » .

قبل الطفلان والدهما الذى تركهما ليصنعا باقات الزهور وذهب إلى زوجته .

بدأ الطفلان فى اختيار الزهور من فوق المائدة ، أما « إيزابيل » ولأنها فى الثالثة من العمر فكانت تُلقى بدون قصد بزهور القرنفل على الأرض .

فقال لها « جورج » :

– انتبهى لقد وقعت الزهور كلها على الأرض .

إيزابيل :

– لا ، لم تقع كلها بل بعض منها .

جورج :

– انظرى إلى هذه الزهور الجميلة إنك تفسدينها .

إيزابيل :

– لا بأس ، لابأس ..

جورج :

– كيف تقولين لا بأس .. إنها لأمى .

إيزابيل :

– وأنا أيضًا اريد بعض هذه الزهور .

جورج :

– خذى الورود الصغيرة .

إيزابيل :

– لا ، أريد الكبير منها .

جورج :

– الزهور الكبيرة لأمى .

إيزابيل :

– لكنني أريدها .

جورج :

أنا أقول لك لا ، لأننى أكبر منك سنًّا فعندى أربع سنوات ونصف .

فنظرت « إيزابيل » لأخيها فى خبث ، ثم خطفت بعض الزهور وجرت إلى مربيتها . جرى « جورج » خلفها ، لكنها عندما رأته خبأتها بين طيات ثوبها وأخذت تصرخ :

– النجدة ، النجدة .

سمعت المربية صراخ الطفلة فجرت والصابون فى يدها ، رأتها تدافع عن نفسها أمام أخيها الذى حاول استرجاع الزهور لكن دون إيذائها .

المربية :

– ماذا حدث ؟ لماذا هذه الضوضاء ؟ وأنت يا « إيزابيل » ماذا تخفين بين يديك ؟

جورج (يبكى) :

– لقد أخذت زهور أمى ، سوف تفسدها ولا تريد أن تعيدها إلىّ .

إيزابيل (تبكى) :

– إنه يريدها كلها لنفسه . ولا يعطينى إلا الصغير منها .

المربية :

– اترك أختك ، وأنت كونى أكثر هدوءًا . أعيدى « لجورج » الزهور التى تفسدينها بين يديك ، فسوف يعتنى بها ليقدمها لوالدتكما .

ترك « جورج » أخته وتركت « إيزابيل » الزهور التى وقعت على الأرض ، لكن عندما رأى الطفل الزهور والحالة التى آلت إليها انفجر فى البكاء . وبدورها ولبكاء أخيها أخذت « إيزابيل » تبكى ، ثم ألقت بنفسها بين ذراعيه معتذرة له عما بدر منها . أما « جورج » ولأنه طفل طيب القلب فأخذ يقبل أخته ، يمسح دموعها ثم عاد مرة أخرى إلى زهوره . سارت خلفه « إيزابيل » لكن دون أن تلمس شيئًا ، بل اكتفت بوضع يديها خلف ظهرها .

وقالت لأخيها :

– أترى .. لن المس شيئًا فلم تعد لدى يدان .

– حسنا .. ابقى هكذا ولا تتحركين .

وبدأ « جورج » ينظم الورود الجميلة الواحدة بجوار الأخرى ، أما « إيزابيل » فكانت تشير إلى الورود بحركة صغيرة بذقنها بينما احتفظت بيديها خلف ظهرها . عندما قرب من الانتهاء فتح الباب فجأة ودخلت « جيزيل » ابنة عمته .

جيزيل :

– لقد وجدتكما ، كنت أظن أنكما ذهبتما للنزهة .

جورج :

– لا ، إننا نعد باقة من الزهور لأمى ، فغدا عيد ميلادها .

جيزيل :

– وماذا ستقدم لك والدتك ؟

جورج :

– تقدم لى ؟! لا شىء ، ليس عيد ميلادى أنا .

جيزيل :

– شىء عجيب ، فإن والدىَّ يقدمان لى دائمًا الهدايا فى عيد ميلادهما . ارنى زهورك ، إنها حقا جميلة ، ورائحتها ذكية من اين قطفتها ؟

جورج :

– لقد أحضرها والدى .

جيزيل :

– هل تحب والدك ؟

جورج :

– أحبه جدًا ، إنه طيب القلب .

جيزيل :

– الأمر يختلف معى .. لأنه دائمًا غاضب على .

جورج :

– هذا لأنك غير مطيعة ، فأبى لا يغضبنا أبدا أنا وأختى .

جيزيل :

– ومن قال لك إننى غير مطيعة ؟

جورج :

– لا أحد ، ولكننى أرى ذلك .

جيزيل :

– اذهب أيها الحيوان ، فإنك مثل أبيك ترى أن كل الناس أشرار .

جورج :

– لا .. ليس كل الناس أشرار ، إن أمى طيبة وكذلك عمتى « بلانش » و « لورانس » . كما أننى مطيع لأبى ولأختى « إيزابيل » .

جيزيل :

– لماذا يقول أبوك : إننى طفلة شريرة ؟

جورج :

– لا أعرف وعليك بسؤاله .

دخلت « لورانس » فى اللحظة التى كانت « جيزيل » تكمل فيها حديثها . فجرى « جورج » و إيزابيل » إليها ليقبلاها ، بينما تقدمت « جيزيل » خطوة واحدة ثم توقفت وقالت بجفاء :

– صباح الخير يا خالتى .

– صباح الخير يا « جيزيل »

حاولت « لورانس » أن تقبلها ، ولكن دفعتها « جيزيل » بعيدًا .
فقالت لها « لورانس » وهى تضحك :

– أنت حقًّا طفلة لطيفة ، هل تصنعين باقات الورود مع « جورج » و « إيزابيل » ؟

جيزيل (بغضب) :

– لا .. فأنا أتفرج عليهما فقط .

لورانس :

– سوف أساعدكما يا صغارى ، هيا يا « إيزابيل » احضرى بعض الخيط لأصنع لكما باقات من الزهور تقدمانها لوالدتكما غدًا .

جيزيل :

– وأنا ماذا أفعل ؟

لورانس (وهى تضحك) :

– ستفعلين ما كنت تفعلينه عندما جئت ، سوف تتأملين ما يحدث .

جيزيل (غاضبة) :

– هل تعتقدين أنه أمر مُسَلٍّ أن أنظر إليكم وأنتم تصنعون باقات الزهور ؟

لورانس :

– إذا كان هذا يضايقك فافعلى شيئًا آخر .

إيزابيل (بغضب) :

– وماذا تريدين منى أن أفعل ؟

لورانس :

– لا أعرف ، فافعلى ما تشائين ، أنت من الصعب إرضاؤك .

جيزيل (بغيظ) :

– لقد فهمت الآن أنت صاحبة الإشاعة التى تقول : إننى طفلة شريرة ، سوف أخبر أبى وأمى بذلك وسوف يغضبان منك ، سترين .

لورانس :

– قولى لهما ما تشائين أيتها الطفلة المسكينة ، فعندما كنت فى الثالثة عشرة من عمرى ، وعندما كنت أقيم فى منزلكم بعد موت أمى ، كنت أخشى أعمالك الشريرة لأن والديك كانا يدافعان عنك دائمًا . أما الآن ولأننا نقيم أنا وأختى عند أخى وزوجته لم أعد أهتم بشكواك ، وأعتقد أنك عندما تصبحين فى العاشرة من العمر فسوف يزداد شرورك أكثر فأكثر .

جيزيل :

– هذا غير حقيقى ، لأن أمى تقول : إننى أصبحت طفلة وديعة .

لورانس :

– إن أمك المسكينة تحبك لدرجة أنها تعتقد أنك أصبحت وديعة . لكن اسألى خالك « بيير » عن رأيه فيك .

جيزيل (بغضب) :

– خالى « بيير » حاد الطبع ، وهو يريد من الجميع أن يحبوا أطفاله فقط . لذلك فهو يتعمد الإساءة لى .

لورانس :

– أنت حقًّا طفلة سيئة للغاية ، فإما أن تسكتى أو أن تذهبى بعيدًا .

جيزيل :

– لن أسكت ولن أذهب بعيدًا ، وأكرر أن خالى وزوجته شريران كما أننى أكرههما .

جورج :

– كيف تقولين هذا عن أبى وأمى ؟

جيزيل :

– وأنا أيضًا لا أريد أن أسمع هذا الكلام عن والدىَّ .

وضعت « لورانس » الزهور على المائدة وحاولت إخراج « جيزيل » من الحجرة . فأخذت الطفلة الشريرة تجرى حول المائدة . استولت على الزهور وأخذت تمزقها وتلقى بها على الأرض وخرجت وهى تغنى فى سعادة .

من شدة الدهشة بقى « جورج » و إيزابيل » جامدين فى مكانهما بلا حراك . أما « لورانس » فأخذت تنادى المربية :

– يا « أنيت » ، اذهبى لتنادى على أخى فورًا ، وأغلقى الحجرة جيدًا حتى لا تهرب « جيزيل » .

أطاعت المربية الأمر على الفور ، فأدركت « جيزيل » الخطر الذى سوف يلحق بها وبحثت عن وسيلة للخلاص لكن بدون فائدة ، إذ عادت المربية فورًا وبصحبتها السيد « دى نيرى » .

السيد دى نيرى :

– ماذا حدث يا « لورانس » ؟ لماذا يبكى الأطفال ؟

لورانس :

– إنها الأعمال الشريرة التى تقوم بها « جيزيل » .

أخذت « لورانس » تحكى ما حدث توًا ، ثم أضافت :

– بعثت إليك لأننى لم أعد أتحمل هذه الطفلة ، كما أنها لا تريد الخروج من الحجرة .

السيد دى نيرى :

– لو كنت ابنتى يا « جيزيل » لعاقبتك حتى لا تعودين إلى مثل هذه الأعمال الشريرة ، لكن بما أنك ابنة أختى فسأكتفى بأن آخذك بعيدًا .

جيزيل (فى احتجاج) :

– لا أريد أن آتى معك ستضربنى ، أريد أن أعود لأمى .

التفت « دى نيرى » ناحية المربية وسأل :

– إلى متى كان يجب أن تبقى هنا ؟

المربية :

– أعتقد ساعة ونصف يا سيدى ، إن مربيتها عند الوصيفة ، فهل أناديها ؟

السيد دى نيرى :

– شكرًا يا « أنيت » لكن لافائدة ، أخبريها فقط أنه قد آن وقت الرحيل فلتأت لتأخذ « جيزيل » .

ثم اقترب من ابنة أخته وقال لها :

– هيا سيرى أمامى .

جيزيل (تبكى) :

– لن أجىء إلى هنا مرة أخرى ، لا أريد أن أراكم ..

لم ينطق السيد « دى نيرى » بحرف واحد ولكن جذب « جيزيل » بشدة من يدها ، ثم أدخلها حجرة مكتبه ، وأجلسها أمامه حتى لا تستطيع الحراك ، ثم قال لها :

– ابكى كما تشائين ستظلين هكذا لمدة ساعة حتى تأتى مربيتك ، وحاولى أن تفهمى إلى أى حد هذه الأعمال الشريرة لا تفيدك ، بل على العكس إنها سبب تعاستك فالجميع يكرهونك .

جلس « بيير » إلى مكتبه ليكمل عمله ، بينما أخذت « جيزيل » تصرخ وتبكى لكن دون أن يرفع هو عينيه عن الأوراق أمامه .

بعد مرور ساعة جاءت المربية لتصحب « جيزيل » التى أخذت تنظر إلى خالها فى غضب . وسريعًا ما عادت إلى المنزل لتحكى لوالديها ما حدث ولكن بطريقتها الخاصة .



الملاك الصادق

فرح « جورج » و« إيزابيل » بمجيء والديهما ورحيل ابنة عمتهم ، فنسيا للحظة مسألة الورود .

جورج :

– ماذا سيفعل لها أبى يا ترى ؟

إيزابيل :

– لابد أنه سيضربها .

جورج :

– مثل ما فعل معك أنت الأخرى عندما عضضت يدى حتى سالت دمائى .

إيزابيل :

– وعندما بصقت أنت الآخر على المربية .

جورج :

– لكنى لم أفعل هذا مرة أخرى .

إيزابيل :

– وأنا أيضا لم أعض أحدًا بعد ذلك .

جورج (بصوت حزين) :

– وباقات الزهور ؟ ليس لدينا ما نقدمه لوالدتنا .

لورانس :

– لا داعى لليأس يا صغيرى ، لقد وضعت باقتين جانبًا قبل وصول « جيزيل » . فيمكن أن تقدماها لوالدتكما ، أما أنا و « بلانش » فسوف نقدم لها باقى الورود .

اقتنع « جورج » بكلام عمته وفرح لأنه بهذه الطريقة سيقدم لأمه أجمل باقة . انتهت « لورانس » من جمع الورود السليمة ، وطلبت من الطفلين إعادة نظافة وترتيب الحجرة .

فى هذه الأثناء وصلت « جيزيل » غاضبة عند أمها .

جيزيل :

– أمى .. لن أذهب مرة أخرى عند خالى ولا الخالة « لورانس »

ليونتين :

– لماذا يا صغيرتى الجميلة ؟

جيزيل :

– لم يسمح لى « جورج » و إيزابيل » بتنسيق الزهور معهما ، ثم إن الخالة « لورانس » ضربتنى وحبستنى .

ليونتين (فى دهشة) :

- ضربتك ، حبستك ، يا طفلتى المسكينة ضربتك ، ولماذا ماذا فعلت ؟

جيزيل :

- لم أفعل شيئًا يا أمى ، لقد سقطت منى بعض الزهور على الأرض ، فقالت : إننى فعلت هذا متعمدة ، ونادت خالى ليضربنى .

ليونتين (فى غضب) :

- يضربك ، ياله من أمر فظيع ، هل حقًّا ضربك ؟

جيزيل :

لا لم يجرؤ على ذلك لأننى قلت لهم إننى سأشكو لك . وغضب خالى وقال : إننى لو كنت ابنته لضربنى حتى الموت .

ليونتين :

- شىء لا يصدق .

جيزيل :

- ثم جذبنى خالى بشدة وبالرغم من صراخى الذى ملأ البيت كله جرنى من معصمى حتى احمرت يدى . عندما قادنى إلى غرفة مكتبه ربطنى بالحبال ، كم تألمت يا أمى ، ظللت على هذا الحال ساعة كاملة وأنا أرجوه أن يتركنى ، لكن دون فائدة . وفى النهاية عندما فك قيودى كنت على وشك الإغماء ، أرأيت الآن يا أمى لماذا لا أريد الذهاب عند خالى ، مع ذلك أنا مازلت أحبه لكنه شرير .

بكت « ليونتين » بحرقة بسبب ما عانته طفلتها الصغيرة من قسوة أخيها وأختها « لورانس » . وأخذت « جيزيل » البريئة بين ذراعيها وأغرقتها بقبلاتها ، قالت الأم :

– يا طفلتي المسكينة كنت ضحية الغيرة الفظيعة ، لن تذهبي مرة أخرى عند خالك إلا بصحبتي ولن افارقك لحظة واحدة ، مسكينة ، مسكينة يا طفلتي . وتضاعفت دموع « ليونتين » . بعد أن أحست « جيزيل » بالانتصار ، جرت إلى مربيتها لتأمرها بأن تروى لأمها نفس القصة .

المربية :

– ولكن يا آنسة « جيزيل » أنا لا أعرف ما حدث ، أنت تعلمين أنني كنت بصحبة مربية زوجة خالك .

جيزيل :

– ولكنك سمعت صراخي .

المربية :

– نعم ، إذا كان على الصراخ فقد سمعته .

جيزيل :

– لقد ربطني خالي في المقعد ومنعني من الحركة .

المربية :

– كنت أعرف أنه لن يقيدك بشدة ، لكنه أراد فقط إخافتك .

جيزيل :

– على كل إننى آمرك أن تروى ما أقوله لك ولا داعى لأن تنقلى تعليقاتك لأمى وأبى دون أن تعرفى الحقيقة .

عندما ابتعدت « جيزيل » ، هزت المربية كتفيها وقالت لنفسها : « إنها حقًّا طفلة شريرة ، فإذا لم أكن مضطرة ما جلست معها يومين .

دخلت « جيزيل » الصالون فوجدت السيد « توكامبيل » وهو صديق قديم للعائلة عرف بصراحته الشديدة ، قال « لجيزيل » :

– مرحبًا أيتها الطفلة الجميلة ، هل ما زلت شريرة كما أنت ؟ وماذا فعلت من شرور اليوم ؟

جيزيل (بغضب) :

– كما تعلم جيدًا لم أعد شريرة منذ فترة طويلة .

السيد توكامبيل :

– أنا لا أعلم شيئًا ، لكنى أرى من عينيك الجميلتين الحمراوين ومن شعرك المنكوش أنه قد حدث شىء ما اليوم .

جيزيل :

– حدث أن خالى « بيير » كان شريرا معى وأكثر من أى وقت مضى ، كذلك خالتى « لورانس » .

السيد توكامبيل :

– هذا شيء مستحيل يا طفلتي ، إنني أعرف خالك وخالتك منذ أن جاءا إلى هذا العالم ، فلا يمكن أن يكونا شريرين .

قالت « ليونتين » وهي تدخل الصالون :

– هذا أنت يا صديقي العجوز ، فيما تتحدث مع « جيزيل » ؟

السيد توكامبيل :

– كنا نتحدث عن ساحرة صغيرة دخلت معركة مع شخصين طيبين ، أما الساحرة الصغيرة فهي تظن أنهما شريران .

ليونتين (تضحك) :

– إذن كان للساحرة تأثير قوى على هذين الشخصين :

السيد توكامبيل :

– هذا يرجع إلى نوع البودرة السحرية التي تستخدمها لتصيب الناس بالعمى .

ليونتين :

– إنك تتحدث بالألغاز يا صديقي ، لكني أريد أن أتحدث معك بجدية ، اذهبي عند مربيتك يا طفلتي الحبيبة .

جيزيل :

– لا يا أمي أريد أن أبقى هنا ، إنني أحبك كثيرًا .

ليونتين (تقبلها) :

– يا حبى الكبير أريد أن أتحدث فى أمور لا أريد أن تسمعيها ، أرجوك اذهبى عند مربيتك .

جيزيل :

– أعرف جيدًا ما سوف تقولينه لصديقنا الذى أحبه جدًّا . إنك تريدين أن تحدثيه عن خالى وخالتى .

بدهشة ، قالت « ليونتين » للسيد « توكامبيل » فى أذنه : لقد فهمت كل شىء يالها من طفلة ذكية .

عندما أحست « جيزيل » بتردد أمها اقتربت منها لتقبلها وقالت بصوت حانٍ :

– اغفرى لهما يا أمى الحبيبة ، أنت طيبة القلب ولاداعى لأن تقولى لصديقنا العزيز ما حدث ، فسوف يحزن كثيرًا .

السيد توكامبيل :

– لقد قالت لك أن تذهبى يا « جيزيل » أنا أيضًا أريد أن أتحدث إليها ، فاتركينا بمفردنا .

جيزيل (تقبله) :

– هل غضبت يا صديقى العزيز ، أنا أعرف لماذا غضبت ، هل لأننى قلت : إنك عجوز ، اغفر لى فهذه غلطة منى ، لقد نسيت تمامًا أن الخالة « مونكلير » قد نبهتنى ألا أتحدث عن سنك ، أو عن الباروكة التى ترتديها ، فهى تقول : إنها مثل العشب الذى تحمله فوق رأسك ها ، ها ، ها ، شىء مضحك أليس كذلك ؟

السيد توكامبيل (بحزم) :

– الخالة على حق يا « جيزيل » ، فأنت صغيرة ، ويجب ألا تسمحى لنفسك بالسخرية من سنى ومن شعر رأسى . كما أنك لست صغيرة الآن لتدركى أنك شريرة ، فأنا لا أضع البودرة السحرية التى تملكينها فى عينىَّ .

جيزيل :

– أنا ؟ ارتكبت أعمالاً شريرة ؟ ضد من ؟

السيد توكامبيل :

– ضد الخالة وضدى أنا ، اخرجى الآن من هنا .

جيزيل (تبكى) :

– أمى .

ليونتين (تقبلها) :

– اذهبى يا طفلتى وكونى مطيعة .

خرجت « جيزيل » وهى تتصنع البكاء ، لكنها كانت سعيدة ، لأنها استطاعت مضايقة السيد « توكامبيل » الذى كشف شرورها وألاعيبها والذى سوف يحدث أمها بهذا الشأن .

شجاعة ليونتين

لم تخطئ « جيزيل » وبمجرد أن غادرت الحجرة التفت السيد « توكامبيل » ناحية « ليونتين » وقال لها :

– تحدثى يا ابنتى إننى أسمعك .

ليونتين :

– إننى حزينة يا صديقى العزيز لغضبك من « جيزيل » المسكينة ، فأنا متأكدة من أنها لم تفهم كلامك ، إنها طفلة ذكية إلا أنها شديدة الحساسية ، وأنت تعرف هذا .

السيد توكامبيل :

– اطمئنى يا ابنتى إنها لا تعرف الألم فهى سعيدة لجرحى ، حقًّا إنها أغضبتنى كما أغضبتك أنت أيضًا ، هى بأخطائها ونواياها الماكرة ، وأنت بضعفك وثقتك العمياء فى كل ما تقوله .

ليونتين (فى دهشة) :

– ضعفى ، ضعفى ، كيف ؟ تقول هذا ، وأنت ترانى أعنفها وأرغمها على طاعتى ومع ذلك تتهمنى بالضعف ، ماذا كان يجب أن أفعل إذن ؟

السيد توكامبيل :

– كان يجب أن تفتحى عينيك جيدًا ، لقد حاولت أن تتملقنى ، كما تظاهرت بأنها تريدك أن تصفحى عن خالها وخالتها ، هذا إلى جانب حديثها عن سنى ودموعها المصطنعة ، فلم يكن كل هذا إلا دهاء ورياء ، فعندما يتعلق الأمر « بجيزيل » فأنت لا ترين شيئًا ولا تسمعين الحقيقة ، الآن ماذا تريدين منى يا ابنتى العزيزة .

بعد أن بدا عليها التأثر روت له « ليونتين » ما حدث من أخيها ، سمع السيد « توكامبيل » الحديث كله بكل اهتمام ، وعندما قالت كل ما عندها نظر إليها وقال وهو يبتسم :

– أيتها الأم المسكينة أراك مضطربة من لاشىء .

ليونتين :

– لا شىء أتسمى كل هذا لا شىء ؟ أن تصرخ ابنتى فى البيت كله ، تعذب وتعذب على مدى ساعة كاملة وتقول لا شىء ؟ أكنت تريد أن يقتلوها ؟ لا أعرف ماذا كان يمكن أن يفعل « بيير » أكثر من هذا ؟

السيد توكامبيل :

– أؤكد لك أن كل هذا لم يحدث ، فأنت تعرفين « بيير » كما أعرفه أنا تمامًا ، تعرفين كيف أنه طيب القلب ، عادل ، وكيف أنه يحبك ولا يمكن أن يكون قاسيًا أو ظالمًا .

ليونتين (فى دهشة)

– أنت إذن لا تصدق ابنتى ؟

السيد توكامبيل :

– أنا لا أصدقها على الإطلاق ، أولاً فهى متحاملة على خالها وخالتها لأنهما منعاها من ارتكاب إحدى حماقاتها ، ثم إنها لا تقول الأشياء كما حدثت . وانتظرى لتسمعى حقيقة الرواية من أخيك نفسه .

بسرعة قالت ليونتين :

– وهل تظن أنه يستطيع أن ينكر وحشيته تجاه « جيزيل » ؟

السيد توكامبيل :

– أعتقد أنه يستطيع أن يقول الحقيقة ، الأمر الذى لا يشكل أية خطورة لك .

أعلم أنك تحملين لى الكراهية الآن وتتمنين رحيلى .

ليونتين (تجهش بالبكاء) :

– كنت أعتقد أنك صديق حقيقى ، كنت أعتمد عليك أيضًا لتحمى « جيزيل » المسكينة ، لكن هأنت تلقى عليها باللوم وبأحكامك الخاطئة ، يا طفلتى المسكينة ، يا ملاكى التعس .

بكت « ليونتين » بحرقة وبقى السيد « توكامبيل » بلا حراك ، من وقت لآخر أخذ يدخن فى انتظار أن تنتهى الأم من أزمتها ، عندما كفت « ليونتين » عن البكاء تحدث معها مرة أخرى بجدية لكن برقة ،

كلمها عن ضعفها الشديد مع ابنتها والخطأ الذى ترتكبه فى حقها والمستقبل الحزين الذى تعده لها . ثم أقنعها فى النهاية بضرورة التفاهم مع أخيها .

السيد توكامبيل :

– هل تذهبين معى عند « بيير » ؟ سأكون رهن أوامرك طيلة اليوم .

ليونتين :

– أفضل الانتظار ، فمازلت متأثرة ومضطربة ، وماذا سأقول « لجيزيل » ؟ فلا أستطيع أن أصدق – وكما تظن أنت – أنها أخطأت وأنها تلك المنتقمة الشريرة .

السيد توكامبيل :

– يجب أن تؤمنى بتجربتى القديمة ، « جيزيل » فى حاجة إلى الردع ، الحزم والشدة . هذا حتى تصبح طفلة رقيقة وهادئة وطيبة وصادقة ، سأذهب إلى أخيك لأعرف منه حقيقة ما حدث .

ليونتين :

– أشكرك ، وليأت معك « بيير » فأنا فى حاجة إلى أن أراه .

بقيت « ليونتين » بمفردها تفكر ، أما نتيجة هذا التفكير فسوف نعرفه فيما بعد .

غضب ليونتين

بعد مرور ساعة على رحيل السيد « توكامبيل » ، فتح الباب فجأة ، دخل « بيير » ، تقدم ناحية « ليونتين » التى وقفت لتأخذه بين ذراعيها وتقبله .

بيير :

– يا أختى المسكينة ، لماذا أراك حزينة وتعسة ، هل صدقت فعلاً أننى يمكن أن أعذب ابنتك ؟

ليونتين :

– يا أخى الحبيب سامحنى لقد ظننت أنك شرير قاسٍ مع ابنتى . ومنعتها دموعها من تكملة حديثها ، فاحتضنت أخاها وسندت رأسها على كتفه وأخذت تبكى . ثم أكملت :

– آه لو عرفت كيف أنه من الصعب على أن أصدق أن « جيزيل » كاذبة شريرة . إنها ابنتى الوحيدة التى أحبها ، ابنتى التى وهبنى الله إياها .

بيير :

– أدرك جيدًا ما تقولين يا «ليونتين » الحبيبة ، لكن من أجل مصلحة « جيزيل » يجب أن تعرفى ما حدث اليوم ، ستكتشفين بعد

ذلك بنفسك ما يمكن تصديقه وما عليك أن تفعليه ، فاجلسى واسمعينى جيدًا .

وحكى « بيير » الواقعة التى حدثت ، فبكت « ليونتين » بشدة ، عندما انتهى من حديثه أخذت تقبله بحنان وهى تقول :

– يا أخى الحبيب أريد منك خدمة كبيرة ، اذهب وأحضر « جيزيل » معك ، اريد أن تبقى بجانبى .

ضغط « بيير » على يدها ليطمئنها وذهب ليبحث عن « جيزيل » .

بيير :

– إن والدتك تريدك يا « جيزيل » فتعالى إلى الصالون .

جيزيل :

– لن أذهب معك أنت بالذات .

بيير :

– بل ستأتين معى ، إنها رغبة والدتك .

جيزيل (بمكر) :

– هل هى رغبة أمى ؟ إن رغبتها هى رغبتى .

بيير :

– أنت مخطئة يا ابنتى ، وأكرر لك أنها رغبة والدتك ، أتسمعين ؟ إنها رغبة والدتك ، سوف تأتين الآن ؟

ولأنه كان يتحدث بحزم قررت « جيزيل » طاعة خالها ، فنهضت وسارت خلفه . عندما دخلت عند أمها أحست بالخوف ، فالابتسامة الحانية كانت قد اختفت من على وجه « ليونتين » وحل مكانها تعبير صارم ، فتوقفت « جيزيل » فى منتصف الحجرة .

ليونتين :

– اقتربى يا « جيزيل » ، تعالى يا « بيير » واجلس بجانبى .

حاولت « ليونتين » التماسك لحظة بعد أن أخفت وجهها بين يديها التى كانت ترتعشان بشدة ، قالت بصوت ملىء بالحزن :

– « جيزيل » ، لقد خدعتنى ، لقد روى لى خالك كل ما حدث ، وقد حزنت جدًّا فأنت بذلك تفقدين ثقتى بك ، ولن أصدقك بعد ذلك ابدًا ، اذهبى إلى حجرتك و ستتناولين عشاءك بمفردك ، فلا أريد أن أراك حتى الغد .

جيزيل :

– أمي الحبيبة إننى أحبك كثيرًا ، سامحينى ، عندما جئت من عند خالى لم أكن أدرك ما أقول ، صدقينى يا أمى ، أريد أن أبقى إلى جانبك .

القت « جيزيل » بنفسها تحت قدمى أمها لتقبل يديها ، بعد أن أحست « ليونتين » أنها سوف تلين ، نظرت إلى « بيير » الذى ضغط على يدها وقال لها بصوت خافت :

– تشجعى ولا تلينى .

فجذبت « ليونتين » يدها وقالت بجفاء :

– لم أعد أصدقك يا « جيزيل » اذهبى الآن ، وعندما أجد أن أخلاقك قد تحسنت سوف أعيد إليك ثقتى وحنانى .

وأسرع « بيير » بإخراج « جيزيل » التى حاولت المقاومة بالتعلق بثوب أمها .

بمجرد أن أغلق الباب ، التفتت « جيزيل » لخالها وقالت له :

– أنت الذى قدم النصائح لأمى ، لولاك ما وجدت الشجاعة لطردى .

بيير :

– أنت على حق لقد عملت بنصائحى أنا والسيد « توكامبيل » ، وقد قررت أن تتبع هذه النصائح فى المستقبل . لذلك أنا أنصحك بتغيير أخلاقك إذا كنت تريدين الاحتفاظ بحبها وحنانها .

لم تجب « جيزيل » لأنها قررت الصمود فى وجه الجميع ، لذا فكرت فى طلب الحماية من والدها .

عندما عاد « بيير » إلى شقيقته وجدها قلقة على ابنتها فطمأنها وشجعها على الاستمرار فى سياستها الجديدة ، ثم تركها ليعود إلى بيته .

شـقاوة جيزيل

في اليوم التالى احتفلت أسرة « بيير دى نيرى » بعيد ميلاد « تونمى » . بعد أن قدم « جورج » و إيزابيل » الزهور لأمهما تناول الجميع الحلوى وعمت الفرحة سريعًا ، وأخذ الطفلان يقبلان كل الحاضرين ثم قال « بيير » للأولاد :

– اذهبا الآن لتلعبا فى الحديقة .

فانطلق الطفلان يجريان ، وقالت « لورانس » :

– أتمنى ألا تأتى « جيزيل » اليوم حتى لا تعكر علينا هذه السعادة .

بمجرد أن انتهت « لورانس » من تكملة عبارتها فتحت « جيزيل » الباب وقالت :

– لقد جئت يا زوجة خالى لأتمنى لك عيدًا سعيدًا .

تقدمت ناحية « تونمى » لتهدى إليها باقة جميلة من الورود .

تونمى :

– أشكرك يا « جيزيل » على زيارتك اللطيفة وعلى هديتك الجميلة .

جيزيل :

– لقد اختارها لى والدى بالأمس بدلاً من التى أفسدتها عند أولاد خالى ، وقد أسفت جدًّا لذلك أرجوك أن تصفحى عنى أنت وخالى .

قبلت « جيزيل » زوجة خالها كما قبلت يد خالها .

جيزيل :

– لقد كانت تصرفاتى كلها خاطئة خاصة معك أنت يا خالى ، سأكون سعيدة لو صفحت عنى .

بيير :

– لقد سامحتك من كل قلبى يا « جيزيل » المسكينة ، أتمنى أن يكون ندمك صادقًا حقًّا ، فهل والدتك هى التى أرسلتك أم أنك جئت من تلقاء نفسك ؟

ترددت « جيزيل » قليلاً قبل أن تجيب :

– نعم ، إنها أمى يا خالى ، فلم أكن أجرؤ على المجىء بمفردى .

تونمى :

– ولماذا ؟ أنت تعرفين أن خالك طيب القلب وقد سامحك مرارا ، كم هو يحب والدتك .

جيزيل :

– نعم ، لكنه لا يحب أبى .

بيير :

– يجب ألا تظنى هذا يا ابنتى ، فإن ارتباطى به هو نفس ارتباطى بوالدتك .

إنها أختى وصديقة طفولتى ، فإذا كنت أحبه بدرجة أقل فهذا لا يعنى أننى لا أحبه . ألم تقدمى اعتذارك أيضًا لخالتك « لورانس » ؟

بدت « جيزيل » غير مقتنعة ومع ذلك اقتربت من خالتها « لورانس » قالت لها بصعوبة واضحة :

– سامحينى يا خالتى .

لورانس :

– لقد سامحتك يا طفلتى المسكينة ، وليساعدك الله لكى تصلحى من نفسك حتى نرضى عنك جميعًا .

جيزيل :

– هل يمكن أن أذهب يا خالى لألعب مع « جورج » و إيزابيل » ؟

بيير :

– اذهبى يا ابنتى وكونى عاقلة .

خرجت « جيزيل » نظر « بيير » إلى زوجته وشقيقته ، وقال :

– ما رأيكم فى ندم « جيزيل » ؟

ابتسمت « تونمى » ولم تقل شيئًا بينما هزت « لورانس » رأسها وقالت :

– لا أعتقد أنها صادقة أو ماكرة ، لكنها أطاعت فقط « ليونتين » .

بيير :

– « ليونتين » المسكينة ، فى أية حالة وجدتها بالأمس .

تونمى :

– إن والد « جيزيل » ضعيف أيضًا تجاهها ، وبدلاً من أن يؤيد موقف « ليونتين » فهو يرى أن « جيزيل » دائما على حق .

فجأة ، فتح الباب ودخل « جورج » يقول :

– أبى ، تعال فورًا ، فالمياه تتسرب ولا نستطيع أن نغلق الصنبور ..

بيير :

– أى صنبور ؟ وكيف ؟

جورج :

– صنبور الحديقة لقد فتحته « جيزيل » ولا تستطيع إغلاقه .

بيير :

– وأين المربية ؟

جورج :

– لقد أخذت « إيزابيل » لتغير لها جوربها الذى ابتل تمامًا .

بيير :

– لقد عادت « جيزيل » إلى شقاوتها .

خرج « بيير » بسرعة مع « جورج » الذى كان قد سبقه مسرعًا ، وعندما وصلا إلى صنبور المياه فى الحديقة كانت « جيزيل » قد حارت فى غلق الصنبور الذى اندفعت منه المياه بقوة ، بعد أن أغلقه السيد « دى نيرى » قال « لجيزيل » على الفور :

– لماذا فتحت الصنبور ؟

جيزيل :

– لم أفتحه يا خالى إنه « جورج » .

جورج :

– لا أنت التى فتحته .

جيزيل :

– لقد ساعدتك فقط على فتحه .

جورج :

– أنت لا تقولين الحقيقة ، لقد قلت لك إن أبى منعنا من فتح الصنبور لكنك قلت وما المانع فلن يعرف شيئًا .

جيزيل :

– أنت كاذب وتقول هذا ليعنفنى خالى .

بيير :

– هذه حماقة منك يا « جيزيل » وبدلاً من أن تعترفى بخطئك فأنت تكذبين . لا أريد أن تبقى معنا وعودى إلى بيتك .

احمر وجه « جيزيل » ولمعت عيناها من شدة الغضب إذ كانت على وشك الاندفاع فى رد وقح لكنها لم تجرؤ على ذلك ، وذهبت دون أن تنطق بحرف واحد لتبحث عن مربيتها .

المربية :

– أراك مسرعة بالرحيل يا آنسة « جيزيل ، هل لديك مشكلة ؟

جيزيل :

– أرجوك ، لا داعى لاختلاق الروايات فسوف تزيدين من مشاكلى .

كانت المربية تتمنى أن تسخر من غضب « جيزيل » ، لكنها لم تجرؤ على ذلك فقد سبق أن طردت قبلها ثمانى مربيات وهى فى حاجة للعمل للإنفاق على أمها .

بعد أن انتهت المربية من تغيير ملابس « إيزابيل » روت للسيد « دى نيرى » حقيقة ما حدث فقالت :

– أنت تعرف يا سيدى أن « جيزيل » لا تطيع أحدًا ، ومعها تصبح الأمور دائمًا فى غاية الصعوبة ، فهى تكذب دائمًا وتقود الأطفال خلفها .

بيير :

– تقول « جيزيل » إن « جورج » هو الذى فتح الصنبور ؟

المربية :

- هذا اختلاق معروف .. أعتقد أنك لن تصدقها يا سيدى .

بيير :

أنا أعرف أن « جورج » لايكذب أبدًا .

ثم التفت إلى « جورج » وأضاف :

- أترى الآن يا « جورج » أن فائدة عدم الكذب هو أن تصدق دائمًا ولا تعاقب أبدًا على ذنب لم ترتكبه .

جورج :

- نعم يا أبى إننى سعيد جدًّا ولن أكذب أبدًا .

إيزابيل :

- أنا أيضا لن أكذب أبدًا ..

بيير :

- أنت مثل الببغاء ترددين كل شىء دون أن تعرفى معنى الكذب .

إيزابيل :

- نعم أعرف .. الكذب أن أقول لا ..

ضحك السيد « دى نيرى » وقبل « إيزابيل » و « جورج » وعاد إلى زوجته وشقيقتيه حيث روى لهنَّ ما حدث .

عندما عادت « جيزيل » إلى أمها قالت لها :

– أمي الحبيبة لقد طلبت من خالي وخالتي أن يسامحاني كما طلبت مني ، ولكن أخشى أنهما مازالا غاضبين .

ليونتين :

– ولماذا تعتقدين هذا يا حبي ؟ لقد كان خالك طيبًا معك بالأمس .

جيزيل (بحزن) :

– نعم يا أمي فهو طيب أمامك فقط ، لكن الحقيقة انهم يتحاملون عليّ جميعًا ، وقد حدث توًا أنني ساعدت « جورج » على فتح صنبور المياه لنملأ رشاشة صغيرة فابتلت ملابسي وظن خالي أنني فعلت هذا متعمدة فطردني ، إنهم يكذبون ويظنون أنني الكاذبة .

ليونتين :

– يا طفلتي الحبيبة ، ألم يصدق خالك بعد أنك أصبحت حسنة الخلق ، سأتحدث إليه وأهدئي ولا داعي للغضب .

وتصنعت « جيزيل » البكاء .

ليونتين :

– لا تبكي يا حبيبتي أرجوك .

جيزيل (تزيد من بكائها) :

– لن يصدقك خالي ، سيقول لك أنني شريرة ، سوف تصدقينه ، وتغضبين علي فأصبح أتعس طفلة ، إنني أحبك يا أمي الحبيبة .

وأتقنت « جيزيل » بكاءها ، فأحست « ليونتين » بالحزن وأخذتها بين ذراعيها ، ضمتها إلى صدرها وقبلتها وهى تناديها «يا ملاكى الحبيب » . وأخيرًا وعدتها بأنها لن تصغى لحديث خالها ، وأنها ستحبها كما كانت تحبها من قبل .

ليونتين :

– ماذا تريدين أن أحضر لك يا حبيبتى الصغيرة ؟

جيزيل :

– أريد أن أقيم حفلة راقصة لتسليتى .

ليونتين :

– حفلة راقصة ، لكنك ما زلت صغيرة على ذلك .

جيزيل :

– لا يا أمى لم أعد طفلة .

ليونتين :

– أولاً أنت فى الثانية عشرة من العمر .

جيزيل :

– لكننى أعرف الآن أمورًا كثيرة ، ولا أطلب منك ذلك كل يوم ، ولكن مرة واحدة فى العام يا أمى الحبيبة ، أنت طيبة وسوف أحبك أكثر من ذى قبل .

ليونتين :

– يا طفلتى المسكينة كيف تريدين منى أن أقيم لك حفلة راقصة ؟ ماذا يقول أبوك ؟ وبأى مناسبة أقيم لك هذه الحفلة ؟

جيزيل :

– إنها حفلة لتدخلى السرور على نفسى يا أمى الحبيبة ، ألا تريدين أن تكون « جيزيل » المسكينة مسرورة ؟ أما أبى فلن يقول شيئًا ، سوف أتوسل إليه ، ألاطفه ، سيوافق ، إننى متأكدة ، سنرى يا أمى أتوافقين ؟

ليونتين :

– لم أوافق بعد يا طفلتى الحبيبة ، أريد مهلة للتفكير .

جيزيل :

– تقصدين أنك سوف تأخذين رأى العجوز السيد « توكامبيل » .

ليونتين :

– لا تتكلمى بهذه الطريقة يا « جيزيل » إنه يحبك .

جيزيل (بغضب وتضرب الأرض بقدميها) :

– إنه لا يحبنى ، وإذا تحدثت إليه فلن أحبك أبدًا ، سترين ما سوف أفعله .

ليونتين :

– « جزيل » ، « جيزيل » إننى حزينة لأنك تتحدثين بهذه اللهجة .

جيزيل :

– إذا كنت أسبب لك الألم ، لسمعت ما أقوله ولأقمت لى الحفلة الراقصة .

ليونتين :

– لا أستطيع يا طفلتى ، صدقينى لا أستطيع .

فتح الباب ليدخل السيد « جرفيل » والد « جيزيل » . فقال :

– لماذا أرى ابنتى الحبيبة حزينة ؟ وأنت يا « ليونتين » لماذا يبدو عليك الغضب ؟

ليونتين :

– كنت أقول لها فقط إن ..

ألقت « جيزيل » بنفسها بين ذراعى أبيها ، وقالت :

– نعم يا أبى الحبيب إن أمى ترفض أن تقيم لى حفلة راقصة .

– حفلة راقصة . قال السيد « جرفيل » فى دهشة .

ليونتين :

– نعم ، إنها تريد أن أقيم لها حفلة راقصة ، كيف تطلب منى هذا ؟ لمن ولماذا ؟ سيكون أمرًا سخيفًا حقًّا ، حفلة راقصة فى آخر فصل الربيع ، فلا أحد يفعل هذا .

السيد جرفيل :

– هذا ليس سببا لكن « جيزيل » مازالت صغيرة .

ليونتين :

- هذا ما كنت أقوله لها توًّا ، فى مثل سنها عليها أن تستذكر دروسها فقط .

السيد جرفيل :

- أنت على حق ، لكن لا أحد يستطيع أن يعمل طيلة الوقت فلا بد من التسلية أيضًا .

وبفرحة ضغطت « جيزيل » على يد أبيها الذى حاول أن يأخذ صفها .

ليونتين :

- لكن ماذا ستقول الأسرة وأصدقائى عن هذا الجنون ؟

السيد جرفيل :

- فليقولوا ما يريدون إننى لا أعبأ من تعليقاتهم ، وهل لابد أن نستأذنهم فى شئوننا ؟ أليس من حقنا أن نفعل ما نريد ؟

ألقت « جيزيل » بنفسها بين ذراعى أبيها لتعانقه وتقبله بحنان . وأخذت تكرر :

- يا أبى الحبيب الطيب ، أنت تحبنى كما أننى أحبك .

ليونتين (بحزن) :

- وأنا يا « جيزيل » ألا تحبيننى بنفس قدر حبك لأبيك ؟

نظرت « جيزيل » لأمها ببرود وقالت :

– أحب أبى ، أبى الطيب الحبيب .

ثم ألقت برأسها على كتف أبيها لتزيد من ملاطفته .

ليونتين :

– أرجوك لا تعد « جيزيل » بشىء قبل أن نتشاور فى الأمور ، كما أننى أريد أن أستشير أخى .

جيزيل (بصوت خافت) :

– أبى إن خالى يكرهك .

السيد جرفيل :

– إن رأى أخيك لا يعنينى .

ليونتين :

– ثم أريد أن أسأل السيد « توكامبيل »

جيزيل (بنفس الأسلوب) :

– إنه أسوأ من خالى .

السيد جرفيل :

– هذا العجوز المجنون ، إنه مثل الأطفال .

ليونتين :

– ثم خالتى « دى مونكلير » أيضًا .

السيد جرفيل (ضاحكًا) :

– هذه أحسن نصيحة ، واحد متهور والآخر مجنون والأخرى مجنونة ، ها ، ها ، ها ، وضحكت « جيزيل » أيضًا :

– ها ، ها ، ها .

ليونتين :

– أرجوك يا « جيزيل » لا تضحكى مما أقول ، فهذه وقاحة وأرجوك أن تسكتى .

جيزيل :

– إن أبى يضحك أيضًا ، وأنا أفعل مثل أبى الحبيب ، فأنت حقًّا تقولين أشياء غريبة ، ها ، ها ، ها .

ليونتين :

– اذهبى الآن إلى حجرتك ولتكونى متأكدة فلن تكون هناك حفلة راقصة .

جيزيل :

– سأقيم هذه الحفلة إن أبى الحبيب سقيمها لى . إنه طيب إننى أحبه .

ليونتين :

– أظن أنك تشعر بالخطأ الذى ترتكبه بسبب طيبتك المتناهية مع هذه الطفلة . نعم إن أخى كان على حق ، إننا نفسد هذه البنت ،

أرجوك يا « جرفيل » اجبرها على طاعتى ، وأمرها أن تخرج من الحجرة الآن .

بعد أن تردد السيد « جرفيل » قليلا ، قام لإخراج « جيزيل » لكنها تعلقت به ، وظلت تقبله ، وهى تبكى وتتوسل إليه أن تبقى .

ليونتين :

– « جيزيل » ، لقد سمعت الآن ما قلت ، اخرجى واذهبى إلى غرفتك .

جيزيل :

– أبى ، أبى انقذنى .

نهضت « ليونتين » ، تحدثت بصوت خافت إلى زوجها ثم أخذت « جيزيل » من يدها وأوصلتها إلى غرفتها حيث المربية ، وقالت لها :

– تولى هذه الطفلة الشريرة .

عادت « ليونتين » إلى زوجها فوجدته حزينًا شاردًا ، فجلست « ليونتين » إلى جواره وقالت :

– ها أنت الآن يا « جرفيل » تفعل مثلى ، ها أنت قد اصبحت ضعيفًا ، يا زوجى العزيز إننا نفقد طفلتنا المسكينة بحبنا الزائد ، وضعفنا المبالغ فيه . إننا فى النهاية نصنع تعاستنا بأيدينا ، أرجوك أن تساعدنى وتقف بجانبى بدلاً من أن تزيد ضعفى ولنصمد سويًا أمام رغبات « جيزيل » ولنسمع سويًا نصائح أصدقائنا الحكيمة .

أخذ « جرفيل » زوجته بين ذراعيه وقال :

– سأحاول إننى أعدك بذلك ، سأحاول ، أين هى الآن تلك المسكينة ؟

ليونتين :

– لاداعى للقلق عليها ، ولتتناول عشاءها فى غرفتها .

جرفيل :

– ألن تتناول العشاء معنا ؟ يا للمسكينة ، كم أنت قاسية يا « ليونتين » ؟

ليونتين :

– أفعل هذا رغمًا عنى لكنها وقحة للغاية .

جاء الخادم ليعلن أن المائدة قد أعدت وتناولا طعامهما بدون « جيزيل » ..

* * *

مرت الأيام التالية فى سلام ، حاولت « جيزيل » التظاهر بالإصلاح من نفسها إلا أن محاولات أبيها لم تخل من بعض التدليل ، وبعض الضعف من قبل الأم .

سارت الأمور بانتظام ، ولم تستسلم « جيزيل » لنوبات غضبها ووقاحتها ومقاومتها ، ثم عادت « ليونتين » لتشعر بأنها قد نجحت أخيرًا فى تربية ابنتها وأخذت تناديها بملاكها الحبيب .

فى أول الأمر لم تشك الآنسة « روندونيه » مدرسة « جيزيل » الجديدة منها حتى جاء يوم مشهود ، دخلت بسرعة عند « ليونتين » وقد بدا عليها الغضب . قالت لها :

– أرجو من سيدتى أن تقرأ هذه الورقة التى وجدتها ، وأنا أقوم بترتيب كراسات الآنسة « جيزيل » .

أخذت « ليونتين » الورقة وقرأت وصفًا للآنسة « روندونيه » ؟

« الآنسة روندونيه عبيطة ، الآنسة روندونيه قنفد ، الآنسة روندونيه ثعبان ، الآنسة روندونيه ضفدع ، الآنسة روندونيه كلب بولدوج ، الآنسة روندونيه شيطان ، قبيحة مثل العفريت شريرة

مثل الغول ، إننى أكرهها كما أكره الشيطان ، إنها تضايقنى وترهقنى وتزعجنى » .

بدا الذهول على وجه « ليونتين » ، كيف تجد العذر « لجيزيل » وتهدئ المدرسة ؟ قالت أخيرًا :

– يا آنستى العزيزة : إن « جيزيل » طفلة صغيرة ، إنه خبث الأطفال ، اغفرى لها أرجوك .

الآنسة روندونيه :

– أنا لا أطلب أكثر من هذا ، ولكن يجب على الأقل أن تعتذر لى وأن تضاعف من اجتهادها حتى أنسى هذه الوقاحة .

ليونتين :

– يا إلهى ، يجب أن تصدقى أنها لا تقصد الوقاحة ، فهى لم تكن تظن أنك سوف تقرئين هذه الورقة ، إنه مجرد عمل طفولى خاصة أنها تحسنت كثيرًا عن ذى قبل .

الآنسة روندونيه :

– لقد تحسنت حقًّا ، لكن بدأ التسيب من جديد منذ يومين أو ثلاثة ، لم تعد مطيعة ولا تؤدى واجباتها ، ولهذا كتبت هذه الورقة الجميلة .

ليونتين :

– سأتحدث إليها يا آنسة ، كما ستعتذر لك على ما فعلت .

خرجت الآنسة « روندونيه » نصف راضية ودقت « ليونتين » الجرس تنادى « جيزيل » .

بعد دقيقة دخلت « جيزيل » ، قالت :

– لقد طلبتنى يا أمى ؟ ها أنا قد جئت مسرعة .

ليونتين :

– أنت لطيفة يا عزيزتى ، قولى لى يا ملاكى ، لماذا كتبت هذه الورقة التى أعطتها لى الآنسة « روندونيه » ، وقدمت « ليونتين » لها الورقة .

جيزيل (بغضب) :

– آه يا إلهى ، لقد عثرت عليها ؟ ولماذا تفتح أدراجى ؟ أنا لا أحب أن يفتح درجى أحد وسأعنفها ..

ليونتين :

– « جيزيل » يا حبيبتى ، كيف تتحدين مدرستك ، وهل من حقك أن تمنعيها من شىء ؟

جيزيل :

– لا أريد منها أن تلمس حاجياتى .

ليونتين :

– يا طفلتى الحبيبة لابد أن ترى كراساتك وأن ترى إن كانت منظمة .

جيزيل :

– ولماذا إذن هى ثائرة ؟

ليونتين :

– هى ليست ثائرة ، لكنها غاضبة وعليك الاعتذار لها .

جيزيل :

– آه ، الاعتذار ، سأحمل هذه الورقة معى فى الشانزليزيه ، سأريها لكل أصدقائى ليروا وصف مدرستهم . سيكون أمرًا مسليا للغاية .

ليونتين :

– آه يا « جيزيل » ، لا تفعلى هذا يا طفلتى إنه أمر سيئ ، فإذا رأت المدرسات هذه الورقة سيغضبن ويرفضن إعطاءك الدروس .

جيزيل :

– وما ضرر هذا ؟ سيمتن جوعًا .

ليونتين :

– إن كل ما تقولينه يدل على سوء الخلق .

جيزيل :

– لا أريد أن أعتذر لها .

ليونتين :

– كيف تكمل الدروس بعد أن وجدت وقرأت هذه الورقة ؟

جيزيل :

– عليها أن تتظاهر بأنها نسيت الأمر .

ليونتين :

– هذا مستحيل يا طفلتى ، مستحيل ، اذهبى لتعتذرى لها ، وقولى لها إنك حزنت وأنك لم تقصدى إلا الدعابة والتسلية .

لم تجب « جيزيل » وتركت أمها وهى متذمرة ، ثم دخلت غرفة المذاكرة . حاولت « ليونتين » التصنت لكنها لم تسمع شيئًا ، بعد عدة لحظات دخلت الآنسة « روندونيه » الحجرة ، وقالت :

– سيدتى ، لقد أصبح من المستحيل أن أستمر فى التدريس للآنسة « جيزيل » .

ليونتين :

– كيف ؟ ولماذا ؟ ألم تعتذر لك ؟

الآنسة روندونيه :

– إن اعتذارات « جيزيل » ضاعفت من أخطائها ، لقد قالت لى إنه كان من الواجب ألا أفتش أدراجها ، وأنها كتبت هذه الورقة لأصدقائها فى الشانزليزيه ، أرجوك يا سيدتى أن تسوى حسابى لأنى لا أفكر فى المجىء إلى هنا مرة أخرى .

أجابت ليونتين بحزن :

– إننى آسفة حقًا يا آنسة .

وذهبت لتحضر لها النقود .

ليونتين :

– إننى مدينة لك بعشرة دروس وإننى أكرر لك اعتذارى .

سلمت الآنسة « روندونيه » على « ليونتين » وخرجت .

دخلت « ليونتين » حجرة المذاكرة ووجدتها خالية ، فطلبت من الخادم أن ينادى الآنسة « جيزيل » .

الخادم :

– يا آنسة « جيزيل » إن والدتك تريدك .

جيزيل :

– قل لأمى : إننى خرجت توًّا مع المربية .

الخادم :

– ولكن بما أنك لم تخرجى بعد ، فيجب أن تذهبى إليها لأنها تريدك .

جيزيل :

– أعرف لماذا تريدنى أمى ؟ اذهب وقل لها ما أقول لك و إلا سأطردك .

قال « هنرى » لنفسه نعم ، إنها نفس أخلاقها اللطيفة ، ونفذ الخادم كلامها ، فقالت « ليونتين » :

– خرجت ، هذا غريب .

ذهبت « ليونتين » لترى زوجها الذى كان مشغولاً بعمل بعض الحسابات .

ليونتين :

– ها نحن يا « جرفيل » فى مشكلة أُخرى بسبب « جيزيل » لقد رحلت الآنسة « روندونيه » .

جرفيل :

– وماذا يعنى هذا ؟

ليونتين :

– هذا يعنى أن « جيزيل » لن تتلقى دروسها بعد ..

جرفيل :

– لا أرى مشكلة فى هذا ، إنها طفلة عاقلة ، ويمكن أن تعمل تحت رعايتنا .

ليونتين :

– إنها لا تطيعنى أبدًا .

جرفيل :

– إذن فلتعد الآنسة « روندونيه » .

ليونتين :

– لكن الآنسة « روندونيه » لا تريد العودة ، لأن « جيزيل » كتبت عنها خمسين صفحة تسبها فيها ، وهى ترفض الاعتذار لها .

جرفيل :

– ماذا تريدين منى أن أفعل ؟ فابحثى لها عن مدرسة أخرى .

ليونتين :

– أنت بشع حقًّا ، بدلا من أن تقدم لى النصيحة فأنت تتقبل الأمر باللامبالاة الغريبة .

جرفيل : (يقبلها) :

– لا داعى للتذمر يا « ليونتين » واحك لى ما حدث .

وحكت « ليونتين » كل ما حدث توًّا بالتفصيل ، أضافت :

– ماذا أفعل الآن ؟ لن اسمح « لجيزيل » بسب مدرستها ، وكيف أتركها بدون عقاب ؟

جرفيل :

– عقاب ، عقاب ، ألا تملكين إلا هذه الكلمة ، تريدين دائمًا أن تبكيها ؟ إنك تسببين لها القلق ، لأنها كتبت فى لحظة ضيق بعض الكلمات السخيفة ضد هذه المرأة الحمقاء التى لا تحسن معاملتها ، ابحثى عن مدرسة أخرى واطلبى من « جيزيل » ألا تكرر هذا .

قالت « ليونتين » بحزن :

– ماذا أفعل يا إلهى ؟ سأذهب لأرى « بيير » وخالتى « مونكلير » لأعرف رأيهما فيما حدث .

دون أن تنتظر إجابة « جرفيل » ذهبت « ليونتين » لترتدى معطفها وقبعتها ولم تستغرق وقتًا طويلاً ، وصلت عند أخيها ، فحكت له تصرفات « جيزيل » الجديدة أخذ « بيير » يفكر قليلاً ثم قال :

– لا توجد إلا وسيلة واحدة ، ولكن لن توافقا عليها وهى أن تضعى « جيزيل » فى الدير ، إنها فى الثانية عشرة من عمرها ، بعد سنتين تكون قد تخلصت من تمردها وعنادها ووقاحتها .

ليونتين :

– أبدًا لن أفترق عن ابنتى أبدًا .

بيير :

– فى هذه الحالة يجب أن تتركى ابنتك تفعل كل ما تريده فلا توجد وسيلة أخرى ممكنة .

ليونتين :

– إنك تهبط من عزيمتى ، سأذهب لأرى خالتى فربما أنها أقل قسوة منك .

فجأة دخل « جورج » وهو يجرى ويقول :

– يا أبى ، يا أبى ، لقد جاءت « جيزيل » إنها مغطاة بالطين والجروح لقد ضربها الأطفال وأحضرتها المربية إلى هنا .

صرخت « ليونتين » وجرت إلى حجرة الأطفال ، فوجدت المربية وقد رفعت عن « جيزيل » ثوبها الملىء بالطين ، حاولت أن تغسل لها وجهها ، لكنها كانت تصرخ وتقاوم ، بالرغم من مقاومتها أمسك بها « بيير » وغسل لها وجهها ثم اطمأن ، إن الجروح ليست خطيرة .

حاولت « ليونتين » الاقتراب من ابنتها لتقبلها وتضمها إلى صدرها ، لكن دفعتها « جيزيل » بعيدًا ورفضت الإجابة على أسئلتها العديدة ، فى النهاية تكلمت مربية « جورج » و إيزابيل » :

– فى الشانزليزيه وجدت « جيزيل » وهى تقف وسط الأطفال وفى يدها ورقة أخذت تقرؤها على الجميع ، ثم اقترحت أن يصف البعض والديه ، لكن عندما استنكر البعض هذا قامت هى بوصف والدها . إلا أننى لا أستطيع أن أكرر ما قالته كما وصفت الأمهات بكلام وقح ، عندما غضب الأطفال حاولوا إسكاتها فوقعت على الأرض وسط الوحل ، حاولوا إغلاق فمها بالقوة فدافعت عن نفسها وأصابتها الخدوش من أظافر الأطفال .

بيير :

– وأين كانت مربيتها ؟

المربية :

– لقد ذهبت لتشترى بعض الأشياء وطلبت منى الاعتناء « بجيزيل » لكن الآنسة ليست سهلة على الإطلاق .

ليونتين :

– هل تتألمين يا ملاكى المسكين ؟

بيير :

– أنت تستحقين ما حدث ، فأنت طفلة شريرة وكنت أتمنى أن تتألمى بالفعل .

ليونتين :

– آه يا « بيير » كم أنت قاس على ابنتى المسكينة .

بيير :

– قاس على هذه البائسة التى سبت أباها مائة مرة ؟

ليونتين :

– هيا يا « جيزيل » لنعود إلى المنزل ، لا يمكن أن تبقى هنا بعد ذلك .

بيير :

– أنت على حق ، اذهبى وأكملى باقى مهمتك بالمنزل وبمساعدة تدليل زوجك .

عندما عادت « ليونتين » إلى البيت ، كان زوجها قد خرج ولم تكن المربية قد عادت بعد ، فخلت إلى نفسها لتفكر فى هدوء وتركيز .

جيزيل تدخل الدير

لم تشعر « جيزيل » بالراحة فلم تحدثها أمها عن وقاحتها مع الآنسة « روندونيه » وخروجها متلصصة مع مربيتها ، ولا عمّا حدث أخيرًا فى الشانزليزيه ، جلست « جيزيل » فى آخر الحجرة تتظاهر بالقراءة . عندما دخلت الخالة « مونكلير » الحجرة رأت « ليونتين » وهى فى هذه الحالة من الوجوم فأشارت إلى « جيزيل » أن تتبعها وتخرج دون صوت .

الخالة مونكلير :

– اجلسى هنا يا « جيزيل » ، لقد بلغنى ما حدث منك أخيرًا ، هل تحبين والديك ؟

جيزيل :

– لكنك ستغضبين منى إذا قلت الحقيقة .

الخالة مونكلير :

– لا لن أغضب منك طالما قدمت لى تعليلاً حقيقيًّا ، تكلمى ولا تخافى .

جيزيل :

– حسنًا ، أنا لا أحب أبى كثيرًا لأنه يدللنى الأمر الذى يحرجنى أمام أصدقائى . إنه لا يعطينى الفرصة لكى أحبه ، أما أمى فهى طيبة جدًّا لكنها تخاف منى ودائمًا تنادينى بملاكها ، فأنا لا أحب هذه الطريقة وأسخر منها بينى وبين نفسى .

الخالة مونكلير :

– مسكينة يا « جيزيل » ، اسكتى أرجوك ، إنك تلقين بأخطائك على والديك . لكن هناك سؤال ، هل تريدين الذهاب إلى الدير ولمدة سنتين ؟

جيزيل (بفزع) :

– الدير ، لا ، لا ، الحياة هناك محزنة تبعث على الضيق ، أريد أن أبقى مع والدىّ أرجوك .

عندما سمعت « ليونتين » اقتراح خالتها « مونكلير » فاضت فى دموعها ، وهدأتها « مونكلير » بكلمات رقيقة لكن حازمة وحكيمة . بعد أن زرفت « ليونتين » الدموع استجابت أخيرًا لخطة خالتها وسمحت لها بأن ترتب كل شىء مع « جيزيل » .

الخالة مونكلير :

– سترين كيف سأقنعها بدخول الدير .

فتحت الخالة « مونكلير » باب الصالون ونادت على « جيزيل » قالت لها :

– « جيزيل » يا ابنتى المسكينة إن أمك تريدك بجانبها ، ولا تريد أن تذهبى للدير .

جيزيل :

– لا أريد أن أبقى هنا سأذهب إلى الدير .

الخالة مونكلير :

– لكنك يمكن أن تطردى من هناك .

جيزيل :

– لن أطرد .

الخالة مونكلير :

ـ هيا يا « ليونتين » عليك بالموافقة بما أنها تعدك بأنها لن تطرد .

جيزيل :

– أرجوكَ يا أمى أن توافقى ، سترين أننى سوف أكون هادئة .

ليونتين :

– أنت هادئة ، هذا شىء مستحيل .

الخالة مونكلير :

– ستبحث « جيزيل » فى الدير عن القلب الذى ينقصها ، ستعود إليك وقد تغيرت تماما ، هيا يا « حيزيل » تعالى معى لنركب السيارة

ونذهب لنزور « دير العصافير » و « دير القلب المقدس » ، إذا أعجبك واحد منهما سنقوم بالترتيبات اللازمة .

فرحت « جيزيل » وهى تحلق مثل العصفور ، ذهبت مع الخالة « مونكلير » بينما بقيت « ليونتين » بمفردها مع أحزانها وندمها .



العطـــــلة

زارت الخالة « مونكلير » و « جيزيل » دير « العصافير » و « القلب المقدس » فاختارت « جيزيل » دير « العصافير » ، أخذتا تتفرجان على المكان وسمحت الرئيسة « لجيزيل » باللعب مع الأطفال فى فسحة النصف ساعة .

بينما أخذت « جيزيل » فى اللعب مع أصدقاء المستقبل شرحت الخالة « مونكلير » للرئيسة وضع وطبع « جيزيل » ، وطلبت منها أن تعاملها برقة وحزم فى نفس الوقت .

فى طريق العودة اشترت الخالة « مونكلير » « لجيزيل » كل ما يلزمها من شارع « اللوفر » ، كما اقترحت أن تشترى « جيزيل » بعض الهدايا لوالديها أيضا ، وعادت « جيزيل » إلى المنزل وهى مسرورة .

عندما عاد والد « جيزيل » من الخارج ، أقبلت عليه « جيزيل » وهى فرحة وقالت له :

– يا أبى الحبيب يجب أن تسمح لى بالذهاب إلى الدير ؟

سقط السيد « جرفيل » على المقعد وقال :

– إلى الدير .. هل جننت ؟

اقتربت الخالة « مونكلير » من « جرفيل » وقالت له بصوت خافت :

– وافق ، وافق ، لا تخف فلن تبقى سوى ثمانية أيام .

السيد جرفيل :

– هل تعتقدين هذا حقا ؟

في البداية تردد « جرفيل » قليلاً لكن أمام قبلات ابنته لم يصمد طويلاً . مرت الشهور والسيد « جرفيل » وزوجته يأملان في عودة « جيزيل » ، وفي أحد أيام العطلة كانت « جيزيل » جالسة في الصالون فاقتربت من أمها وقالت :

– أمي .

ليونتين :

– ماذا تريدين يا « جيزيل » ؟

جيزيل :

– لماذا تناديني « بجيزيل » ؟

ليونتين :

– وكيف تريدين أن أناديك ؟

جيزيل :

– كما تناديني دائمًا يا ملاكي العزيز أو الحبيب .

ليونتين :

– لست ملاكًا لكننى أناديك كما يناديك الجميع ، ماذا تريدين ؟

جيزيل :

– إننى أشعر بالضيق .

ليونتين :

– اتركينى أقرأ .

جيزيل :

– أريد العودة إلى الدير حيث يحبنى الجميع .

ليونتين :

– كما تريدين .

جيزيل :

– يا إلهى ، كم أنا تعيسة فى هذا البيت .

ثم انهارت فى البكاء ، وكادت « ليونتين » أن تجرى ناحية ابنتها التى كانت تتهمها بالجفاء ، فتماسكت وأخذت تقرأ فى كتاب كان بين يديها ، توقفت « جيزيل » أخيرا عن البكاء ، ولاحظت أن أمها تجفف دموعها ، فنهضت ، اقتربت من « ليونتين » وأحاطتها بذراعيها وقالت بصوت هادئ :

– لا تبكى يا أمى لن أعود إلى الدير اليوم ، إننى أحبك .

تماسكت « ليونتين » وضمت ابنتها إلى صدرها وقالت لها وهى تبتسم :

– حسنًا يا ابنتى العزيزة كم أنت الآن وديعة .

جيزيل :

– هل يمكن أن نخرج سويًا يا أمى للنزهة ؟

ليونتين :

– بكل سرور يا عزيزتى .

منذ ذلك اليوم عاملت « جيزيل » أمها بنفس الطريقة ، أما أبوها الذى استمر فى تدليلها فكانت « جيزيل » تنتقم منه دون أن تدرى وذلك بالوقاحة والمزاح العكر .

لم تكن نهاية العطلة حزينة إلا بالنسبة للسيد « جرفيل » والسيدة « ليونتين » اللذان كانا يريدان مصاحبة « جيزيل » إلى الدير . الخالة « مونكلير » التى حضرت فى ذلك اليوم من « باريس » أقنعتهم بمقدار الألم الذى يمكن أن تعانيه « جيزيل » بسبب دموع والديها .

وسارت الأمور كما قالت الخالة « مونكلير » وكما أرادت « جيزيل » ، فكان الوداع هادئًا ، وكانت « جيزيل » جادة فى فرحتها بالعودة إلى الدير ، قالت :

– إلى اللقاء يا أبى ويا أمى المسكينة ..

عندما ابتعدت السيارة انهارت « ليونتين » باكية وكذلك زوجها فاختلطت دموعه بدموع زوجته ، وقال :

– شيء لا يصدق لا أفهم سر حبها لهذا الدير ، وكيف تفضل سيطرة الدراسة عن سعادتها معنا .

ليونتين :

– لابد أنها فى حاجة لأن تشعر أنها ذات قيمة .

جرفيل :

– كيف هى مطيعة هناك ، وهنا هى فى حالة ثورة دائمة .

ليونتين :

– إنها تطيع لأنها بصحبة عدد كبير من الأطفال الآخرين ، إنها تسير خلف القدوة .

جرفيل :

– بعد أن ينتهى هذا العام سوف نأخذها عندنا .

ليونتين :

– هذا إذا أرادت العودة .

جرفيل :

– كيف إذا أرادت ؟ سأعرف كيف أرغمها على ذلك .

ابتسمت « ليونتين » فكانت تعرف أن « جيزيل » لن تنفذ إلا ما فى رأسها .

جيزيل تترك الدير

عندما جاءت فترة الإجازات غادرت « جيزيل » الدير دون أسف ، ودون أن تحمل لأحد أية مودة ، كانت ترى أنها تعلمت ما فيه الكفاية ، لذا لم يعد الأمر مسليا بالنسبة لها ، تمنت أن تعيش حياة أكثر سعادة وسط أسرتها ، وعندما جاء أبوها ليأخذها بدت عليها الفرحة ، فتأثر لذلك كثيرًا السيد « جرفيل » . عندما وصلت « جيزيل » ، استقبلتها أمها وأقاربها وخالاتها ، وكل الأصدقاء الذين دعتهم الأسرة لقضاء العطلة فى قصر « جرفيل » . كانت « بلانش » بصحبة زوجها بعد أن تزوجت منذ ثلاث سنوات ، أما « لورانس » فكانت قد تزوجت منذ شهرين .

سعدت « جيزيل » بهذا العالم اللامع ، فظنت أنها يمكن أن تقضى وقتًا ممتعًا . فكانت لطيفة مع أمها وخالاتها والجميع ، فأثارت إعجاب الحاضرين . كانت « جيزيل » جميلة ، سمراء وعيناها سوداوان وشعرها أسود لامع مثل الحرير . هذه هى « جيزيل » وهى فى الرابعة عشرة من العمر .

كانت الأيام الأولى لوصولها هادئة تمامًا ، ولكن فى صباح أحد الأيام دخلت الصالون وجدت أن « بلانش » قد شغلت مقعد أمها فقالت لها أمام الحاضرين :

اتركى لى مقعدى يا خالتى ؟

بلانش :

– كيف مقعدك ؟ أولاً إنه مقعد أمك ، ثم إن الطفلة الصغيرة ليس لها مقعد فى الصالون .

جيزيل (بسرعة) :

– لست طفلة صغيرة ، ففى الرابعة عشرة أنا شابة ، ثم إننى أحتل دائمًا مقعد أمى عندما لا تكون هنا .

بلانش :

– لكن بما أننى جالسة بالمقعد فلن أقوم منه .

جيزيل :

– سأقول لأمى وسوف تنهضين من مكانك .

بلانش :

– ستكون أمك أكثر أدبًا منك .

جيزيل :

– إن أمى تطيعنى دائما ثم إنك غير مؤدبة .لأنك تتحدثين معى كما لو كنت فى السابعة من العمر .

بلانش :

– هذا لأن تصرفاتك تلغى سنك الحقيقى ، فأنت تتصرفين كما لو كنت فى السابعة .

جيزيل :

– أريد المقعد وسوف آخذه .

بلانش :

– لن تأخذى المقعد .

انقلب وجه « جيزيل » وتطاير الشر من عينيها ، فاقترب أحد الأصدقاء يدعى « جوليان » وقال :

– كونى أكثر عقلاً من ابنة أختك يا « بلانش » .

قالت بلانش :

– فعلاً أفضل التنازل عن موقفى بدلاً من زيادة المشكلة .

نهضت « بلانش » وأسرعت « جيزيل » بالجلوس على مقعد أمها ، لكنها لم تشعر بالراحة فنهضت ثانيًا ، وعندما رآها « جوليان » قلقة ومنعزلة أحس بالشفقة عليها ، فاقترب منها وقال :

– انتصارك لم يخدمك يا آنسة فأنت تبدين غير سعيدة بمقعدك .

جيزيل :

– لقد ابتعد عنى الجميع .

جوليان :

– بدون شك أنهم يخشون تصرفاتك .

جيزيل :

– كنت على حق للمطالبة بمقعد أمى .

جوليان :

– لا أعتقد هذا يا آنسة إن خالتك على حق .

جيزيل :

وهل يعجبك أن أعامل كطفلة صغيرة .

جوليان :

– لا ، لا ، لكن إذا كنت تتصرفين كطفلة صغيرة ، ففى هذه الحالة ينسون أنك أقرب من الشابة ويعاملونك كطفلة .

لم تسعد « جيزيل » بهذا الحديث وابتعدت لتجلس بمفردها على الحشائش . فسأل جوليان بلانش :

هل « جيزيل » معتادة دائمًا على هذه النوبات وكما حدث الآن ؟

بلانش :

– إنها مازالت صغيرة فهى لا تستطيع أن تتحكم فى كلماتها وتصرفاتها ، لكن نوباتها هذه لا تستمر طويلاً كما رأيت .

جوليان :

– هل حقيقة أن والديها قد دللاها كثيرًا فى طفولتها ؟

بلانش :

– هذا حقيقى ، ثم أنهم مازالوا يدللونها حتى الآن ، ولولا أنها دخلت الدير ما كانت أصبحت متعلمة ومثقفة كما هى الآن .

جوليان :

– وهل دخلت الدير بإرادتها ؟

بلانش :

– نعم ، إن « جيزيل » لها جوانب حسنة كثيرة ، لذلك أقول بقليل من الصبر يمكن أن تختفى عيوبها .

كانت « بلانش » تتحدث عن ابنة أختها بطيبة قلب وبأسلوب لا تستحقه ، فظلت تبرر أخطاءها وترجعها إلى خطأ تربيتها .

بعد هذه المناقشة فكر « جوليان » فى التقرب من « جيزيل » ليحاول تغيرها عن طريق التعامل معها برقة ، لذا حرص على المجىء مرارًا عند السيد والسيدة « جرفيل » إذ كان صديقًا حميمًا لزوج « بلانش » .

كان « جوليان » فى الواحدة والعشرين من عمره ، شاب ثرى فقد أبويه منذ طفولته ، كان مجتهدًا فى دراسته يقضى الساعات الطوال فى الاستعداد للامتحان النهائى لكلية الحقوق فى نهاية الخريف ، فقد كان يأمل أيضًا فى الالتحاق بمجلس الأمة .

في أحد الأيام نزل السيد « جرفيل » إلى الفناء وبصحبته « بيير » لمعاينة بعض الخيول التي يريد شراءها فاقتربت منهما « جيزيل » وقالت :

– إلى أين أنت ذاهب يا أبي ؟

السيد جرفيل :

– سنذهب لنرى بعض الخيول الشابة لنجربها .

جيزيل :

– أريد أن أذهب معك يا والدي .

السيد جرفيل :

– مستحيل يا طفلتي العزيزة ، هذه الخيول يمكن أن تكون عنيفة شرسة .

جيزيل :

– ولماذا تذهب أنت يا أبي ؟ بما أنه أمر خطر فيمكن أن يكون أيضًا خطرًا عليك وعلى خالي .

السيد جرفيل :

– لا ، يا حبيبتي إننا رجال ويمكن أن نتصرف .

جيزيل :

– ولماذا لا أتصرف أنا أيضًا ؟

السيد جرفيل :

– ستعوقك ملابسك عن الحركة .

جيزيل :

– أرجوك يا أبى أريد أن أذهب معك .

السيد جرفيل :

– أرجوك يا حبى لاداعى للإصرار . أؤكد لك أنه أمر شديد الخطورة .

وكلما حاول السيد « جرفيل » إقناع « جيزيل » فإنها تصر أكثر من ذى قبل ، فذهبت خلفه إلى الفناء ، رأت الخيول أثناء إعدادها ، وعندما ركب أبوها العربة التى تجرها الخيول فوجئ « بجيزيل » تقفز وتركب معهم .

بيير :

– أرجوك يا « جرفيل » لابد أن تنزلها إنها معرضة لخطر حقيقى ، فلن أذهب معك طالما بقيت هنا .

جيزيل (تضحك) :

– سأبقى حيث أنا .

عندما تملكه الغضب حاول « بيير » إنزالها بالقوة لكنها أخذت تصرخ الشيء الذى لفت انتباه بعض الأصدقاء من بينهم « جوليان » .

جوليان :

- كلنا نعرف أن الآنسة « جيزيل » شجاعة ، ولا تخشى الخطر ، لكن لو عرفت مقدار القلق الذى يمكن أن تسببه لأبيها لنزلت على الفور وبإرادتها .

جيزيل :

- هل تظن هذا حقًّا يا سيد « جوليان » ؟

جوليان :

- بكل تأكيد يا آنسة ، لأنهما سيفكران فيك فى حالة الخطر .

قالت « جيزيل » وهى تقفز خارج العربة :

- سأنزل إذن ..

أحس « جوليان » بالانتصار . فهذه الفتاة لو تحدثوا إليها بالعقل لاقتنعت على الفور . وأصبحت وديعة مثل الحمل لكنهم لا يعرفون كيفية التعامل معها .

* * *

جيزيل تريد أن تتزوج

مر العام الثانى وكما مر العام الأول وبدا التغيير ملحوظًا على « جيزيل » خاصة بالنسبة لسلوكها مع والديها ، كانت « جيزيل » مؤدبة ولطيفة . كانت تحدث بعض الوقاحات ، لكنها تعتذر وتحاول تصحيح أخطائها .

بدأ الصراع الهائل عندما قربت العطلة من الانتهاء ، فتحدثت « جيزيل » عن رحيلها القريب ، فأعلن السيد « جرفيل » أنه لن يكون هناك رحيل هذا العام وأنها ستبقى معهم وأن فترة الدير قد انتهت .

انقضى هذا الفصل من العام بسعادة بالنسبة « لجيزيل » وتفرقت المجموعة ، سافر « جوليان » فى نهاية شهر أكتوبر لإجراء اختباره ، بقيت « بلانش » وزوجها عدة أشهر مع « ليونتين » ، تركت « جيزيل » نفسها فريسة لنزواتها وعنفها ، لا تعرف كيف تستمتع بشىء لأن طباعها الصعبة تفسد عليها كل متعة ، وبكت « ليونتين » مرارا وبدا السيد « جرفيل » مكتئبًا صامتًا .

أما الشىء الوحيد الذى حافظت عليه « جيزيل » فهو دراستها إذ كانت تقرأ كثيرًا . تتدرب وبلا توقف على الموسيقى ، ترسم لوحات من الطبيعة تساعدها على دراسة الأشجار ، فقد كانت البلدة جميلة

بهضابها ومرتفعاتها ، كانت « جيزيل » رسامة بارعة بالفعل . عندما تعود للمنزل كانت تكمل رسوماتها إما بالفحم أو ألوان الزيت ، لم يكن الشتاء جميلاً فى باريس فقالت « جيزيل » لأمها : إنها تريد أن ترى الناس ، فأخذتها معها إلى حفل استقبال كبير وأعجب بجمالها الحاضرون .

عندما علمت الخالة « مونكلير » بذلك انزعجت من اندفاع « ليونتين » وجرت إليهـا بصحبة الصـديق المخلص السيد « توكامبيل » .

الخالة مونكلير :

– ماذا فعلت يا « ليونتين » ؟ هل أخذت « جيزيل » معك إلى حفل سفارة النمسا أول أمس ؟

ليونتين :

– نعم يا خالتى ، لقد توسلت إلى الصغيرة المسكينة لأنها لم تر فى حياتها حفل استقبال .

الخالة مونكلير :

– إننى لا أصدق هذا ، وفى الخامسة عشرة من العمر ، قولى لى إذن يا « جيزيل » هل تريدين أن تصبحى مسنة وقبيحة من الآن ؟

جيزيل :

– لا يا خالتى ، لقد حضرت الحفل ولم أتقدم فى السن ولم أصبح قبيحة ، لقد أمضيت وقتًا ممتعًا ، فقد أخذ الحاضرون يتطلعون إلى

كما أننى رقصت طيلة الوقت وذهبت للنوم فى الساعة الرابعة صباحًا ، نمت حتى الساعة الثانية عشرة ظهرًا ، أشعر أننى فى أحسن حال .

الخالة مونكلير :

– حسنًا ، إذا كررت هذا الجنون سيفسد وجهك ، فتظهر التجاعيد ، وأنت فى الثامنة عشرة أيكون هذا جميلاً ، أين رأيت طفلة فى الخامسة عشرة من العمر تذهب إلى حفل استقبال وتنام فى الساعة الرابعة صباحًا ؟ اسألى السيد « توكامبيل » عن رأيه فى هـذا .

جيزيل :

– إن السيد « توكامبيل » يهاجمنى فى كل ما أفعله .

السيد توكامبيل :

– أنا أهاجم ما هو خطأ يا « جيزيل » ، حقيقة أنك تفعلين وتقولين دائمًا كل ما هو جنون لكنها ليست غلطتى .

ليونتين (بخجل) :

– أؤكد لك يا صديقى أن « جيزيل » أكثر عقلاً مما تتصور إنها مجرد حفلة بالصدفة وليست عادة .

السيد توكامبيل :

– إن الحفلة الأولى يمكن أن تقود إلى الحفلة الثانية وهكذا .

لم يعجب « جيزيل » هذا الحديث فقطبت جبينها ، ولم تنطق بحرف واحد ، فى النهاية وعدت « ليونتين » بعدم اصطحاب ابنتها إلى

حفلات أخرى ، وعندما رحلا نهضت « جيزيل » بغضب وألقت بالكتاب الذى كان فى يدها على الأرض ، وأنبت أمها بغلظة على ضعفها .

ليونتين :

– لم أكن ضعيفة إلا فى اليوم الذى وافقت فيه على أن تذهبى إلى الحفل .

كانت المناقشة حادة وطويلة ولم تهدأ « جيزيل » إلا بعد أن وعدتها أمها بالذهاب لمدرسة الخيل ثلاث مرات فى الأسبوع ، وأنها ستعد لها حصانًا خاصًّا جميلاً تتنزه به فى الريف .

مرت السنتان التاليتان وسط المناقشات ، تحامل ومبالغات « جيزيل » ، وعاشت « ليونتين » والسيد « جرفيل » وسط الخوف المستمر من إغضاب ابنتهما ، كانا طيلة الوقت يقاومان رغباتها المستحيلة ، وفى أحد الأيام أعلنت لأمها أنها تريد أن تتزوج .

جيزيل :

– أنا الآن فى السابعة عشرة ونصف من العمر وأشعر بالضيق من هذا المنزل ، لقد تعبت من الهجوم على من الصباح حتى المساء ومن الطاعة المستمرة ، لابد أن أمر بدورى .

ليونتين :

– هل تظنين يا طفلتى المسكينة أنك عندما تتزوجين ستلقين بأوامرك كما تشائين ولن تكونى مطالبة بالطاعة لأحد ؟

جيزيل :

– سأتزوج من رجل يتركنى حرة فى كل تصرفاتى .

ليونتين :

– وأين هذا الرجل المثالى الذى لن تكون له إرادة إلا إرادتك ؟

جيزيل :

– ليس من الصعب العثور عليه إنه « جوليان » .

ليونتين :

– إن زياراته لنا منذ عام أصبحت قليلة ، وأخشى أنك ربما تعيشين فى الأوهام .

جيزيل :

– أنا متأكدة من أننى لا أعيش فى الأوهام إنه الزوج الذى يناسبنى تمامًا .

ليونتين :

– إنه فعلا ممتاز وعاقل ، لكننى أخشى ألا تعجبه طباعك الحادة ورغبتك الدائمة فى اللهو .

جيزيل :

– لتحدثه خالتى « بلانش » وسترين أنه سيأتى بأسرع ما يمكن .

ليونتين :

– أنا لا أطلب أحسن من هذا ، إنه أحسن اختيار لك . سأقول « لبلانش » : إننى أريد التحدث إليه .

عندما طلبتها أختها لم تتأخر « بلانش » فى المجىء ، كانت « ليونتين » بمفردها فحكت لها عن رغبة « جيزيل » فى أن تصبح زوجة « لجوليان » .

بلانش :

– منذ عام كان شديد الإعجاب « بجيزيل » لكن هذا الشتاء لم يسأل عنها قط وحقيقة أنه التقى بها عدة مرات فى مناسبات مختلفة لكنه لم يتحدث معها ، وكلما التقيت به كان يقول لى مرارًا : إن أخلاق « جيزيل » صعبة للغاية .

ليونتين :

– لقد طلبها اليوم « دون بالما » لكننى لم أبد رأيى للآن ، فهذا الرجل بالرغم من ثرائه إلا أن فكره محدود ويعيش حياة فاسدة ، وسيكون نكبة على « جيزيل » .

بلانش :

– أنت على حق إنه عكس « جوليان » العاقل المتدين ، لا تتحدثى عن هذا الدوق حتى نقرر مسألة « جوليان » فهو الوحيد الذى له تأثير قوى على « جيزيل » لذا معه يمكن أن تعيش بحكمة .

وفى اليوم التالى جاءت « بلانش » إلى أختها .

ليونتين :

– هيا يا « بلانش » .. هل رأيته ؟ هل وافق ؟

بلانش :

– لقد وافق بحماس ، لكنه يخشى أخلاق « جيزيل » التى يحبها بالرغم من كل شيء ، إنه يريدك أن تسمحى له بلقائها لمدة خمسة عشر يومًا يستطيع خلالها أن يقرر إذا كان يمكنه أن يصنع سعادة « جيزيل » وسعادته .

ليونتين :

– حسنًا قولى له : أن يأتى بأسرع ما يمكن بسبب إلحاح هذا الدوق .

بعد ساعة كان « جوليان » عند السيدة « ليونتين » ، أما « جيزيل » فكانت بصحبة أبيها فى مدرسة الخيل ، فتحدثت « ليونتين » طويلا مع « جوليان » ، قال :

– ثقى يا سيدتى العزيزة أننى لو لم أتقدم رسميًّا خلال عشرة أيام لطلب يد الآنسة « جيزيل » الرقيقة سأكون حزينًا لكونى غير قادر على إسعادها .

ليونتين :

– ابق لتناول الغداء معنا ، لكننى مضطرة للخروج لمدة ساعة حتى يحين موعد الطعام وأخشى أن تشعر بالضيق بمفردك .

جوليان :

– إذا سمحت لى سأنتظر هنا ، سأقرأ قليلاً فلدى موضوعات كثيرة يمكن أن تشغلنى .

ليونتين :

– افعل ما تشاء يا صديقى ، فأنت دائما تفعل الصواب .

خرجت « ليونتين » ليبقى « جوليان » بمفرده ، لكن بعد خمس دقائق دخلت « جيزيل » وهى ترتدى ملابس الخيل وقد بدت مشرقة نضرة وجميلة .

جيزيل :

– مساء الخير يا « جوليان » إننى سعيدة أنك هنا فمنذ مدة طويلة لم تحضر لزيارتنا .

جوليان :

– كان أمامى عمل كثير يا آنسة ، فإذا سمحت لى سأتناول الغداء معكم .

جيزيل :

– بكل سعادة ، سأرتدى ثيابى وآتى بعد خمس دقائق .

قال « جوليان » لنفسه إنسانة ساحرة ، خسارة إنها لم تتلق تربية صحيحة . أخشى عليها من رغبتها الملحة فى اللهو والسيطرة ، هذا هو مايفسد عقلها وقلبها .

بعد لحظات كانت « جيزيل » بالقرب من « جوليان » ، بعد أن تحدثا فى موضوعات شتى سألها « جوليان » إذا كانت قد أمضت وقتًا لطيفًا فى الفترة الأخيرة التى لم يرها فيها ، ردت قائلة :

– لقد لهوت كثيرًا ، ذهبت إلى الأوبرا وركبت الخيل .

جوليان :

– أنت تلعبين إذن من الصباح وحتى المساء ، أنت تعيشين فى دوامة من الاستمتاع .

جيزيل :

– لابد أن أسرع فى اللهو فإنهم يريدون أن يزوجونى هذا الربيع .

جوليان :

– هكذا مبكرًا ، وكيف تعيشين بحكمة بعد الزواج ؟

جيزيل :

– سأعيش كما أعيش الآن ، سيصحبنى زوجى إلى كل مكان .

جوليان :

– وإذا كان لا يحب الاختلاط والمجتمعات ؟

جيزيل :

– لابد أن يحب الخروج مثلى .

جوليان :

– لايمكن أن يكون الزوج مطيعًا لك كما كان أبوك .

جيزيل :

– لست قلقة بهذا الشأن سننظم حياتنا .

جوليان :

– على كل لن نكون فى باريس ، إننى أشعر بالراحة فى الريف .

جيزيل :

– حقيقة إننى أحب الريف عندما يكون مليئًا بالناس .

جوليان :

– إننى أقصد الريف بدون الزحام .

جيزيل :

– كيف أكون بمفردى مع الزوج ؟

جوليان :

– نعم .. هذا ما أسميه بالراحة .

جيزيل :

– كيف تعرف أنه أمر مسلٍّ بما أنك لا تذهب مرارًا إلى الريف ؟

جوليان :

– أمر محزن أن أكون بمفردى ، ولكن عندما تكون بجانبى امرأة أحبها وتحبنى ، فأنا أفضل أن أقضى سبعة أو ثمانية شهور من العام وسط الحياة الهادئة فى الريف .

نظرت إليه « جيزيل » بدهشة وقالت :

– لكنك ستموت من الضيق ، وكذلك زوجتك فلن تجد امرأة ترضى بأن تدفن فى الريف وعلى مدى ثمانية شهور .

جوليان :

– وربما أجد .

جيزيل :

– أعرف أنك تمزح وإلا سأكون منزعجة للغاية .

جوليان :

– ولماذا يزعجك ذوقى ؟

جيزيل :

– أعرف لماذا تقول كل هذا ، فقد نصحتك خالتى « بلانش » بطلب يدى ، هذا لأنهم يريدون أن يزوجونى ، وأنت تريد أن تعرف ردى الآن بعد أن هددتنى بقضاء ثمانية أشهر فى الريف لأعيش مثل المتوحشين .

جوليان :

– لقد فهمت كل شىء ، وإننى متأثر للغاية من صراحتك معى ، لكن ليكون الإنسان سعيدًا فى زواجه يجب أن تتوافق الطباع والأذواق ، لابد من المودة الهادئة من الجانبين ، هذا ما ستجدينه

عندى يا « جيزيل » أما أنت فهل يمكن أن تعرفى هذه المودة التى تخلف الرقة والسعادة والتفانى .

جيزيل :

– المودة ، نعم يا « جوليان » ، لكننى لأأريد أن أدفن فى الريف مثل الدب .

جوليان :

– هذا ما لا أطلبه منك ، حقيقة أننى أحب حياة المجتمع ، لكننى لا أحب التسلية المدمرة . أتفهمين ما أقول ؟

جيزيل :

– نعم ، نعم ، أعرف كل هذا جيدًا ، لكن اسمع يا « جوليان » لا داعى للعجلة . فربما أستطيع أن أغير من ذوقى وأفكارى أعرف أننى غير مكتملة ، لقد دللت كثيرًا . تعودت على السيطرة ، وربما تستطيع أنت أن تغيرنى بعقلك وطيبتك .

وهو يقبل يدها قال « جوليان » :

– وليشأ الله هذا يا « جيزيل » ستكونين ساحرة إذا أردت هذا بالفعل .

جيزيل :

– سأرى ، سأحاول ، تعال كل يوم لنتحدث سويًا ، سأتركك الآن لأرى أبى إنه يريدنى وقد نسيت هذا إنها غلطتك .

أضافت وهى تضحك وجرت إلى أبيها .

قال « جوليان » لنفسه أى طفلة ساحرة لقد دللوها كثيرًا ، لا أعتقد أننى واهم ويمكن أن تغير من نفسها فتصبح المرأة التى تناسبنى ، كم أخشى هذا كثيرًا .



جيزيل دوقة ومليونيرة

عندما حكت « جيزيل » لأبيها عن فرحتها بالسيد « جوليان » قال لها : إنه يفضل دوق « بالما » لأنه رجل ثرى ، ثم إن « جوليان » ينتقد دائمًا تصرفاتها .

بدأت « جيزيل » تقارن بين لطف الدوق متناسية سنوات عمره الأربعين وبين حكمة « جوليان » ، ومع الوقت حملها غرورها للانحياز للدوق ، وفى أحد الأيام صرحت له بقرارها الذى اتخذته لصالحه .

فرح الدوق فرحًا شديدًا ، وعمل على أن يكون طلبه رسميا فقدم لها خاتمًا ثمينًا ، محلى بفص من الياقوت الأخضر المرصع بالماس ، وعندما جاء « جوليان » فى اليوم التالى قالت له ببرود :

– « جوليان » أريد أن أقول لك شيئًا .

جوليان :

وأنا أيضا يا « جيزيل » العزيزة لقد جئت لأودعك .

جيزيل :

– هل أنت مسافر ؟

جوليان :

– نعم ، إننى هارب منك ، فلا يمكن أن تكونى زوجة لى ، ستشقين معى وسأشقى معك .

جيزيل :

– إننى حقًّا آسفة عليك يا « جوليان » ، صدقنى ولكننى قد وعدت دوق « بالما » .

جوليان :

– ماذا فعلت يا « جيزيل » ؟ إنك لا تحبينه ، فمازال أمامك الوقت للرفض .

جيزيل :

لقد فات الوقت خاصة أننى اكتشفت أننى لا أناسبك ، انظر الخاتم الذى قدمه لى ، أترى تلك الياقوتة الرائعة .

لم ينظر « جوليان » إلى الياقوتة بل نظر إلى « جيزيل » فى حزن ، أخذ قبعته وخرج وهو يقول :

– أيتها الطفلة المسكينة ، الوداع إلى الأبد .

وبقيت « جيزيل » فى ذهول وقالت وهى تبكى « لقد ذهب إلى الأبد » ..

بكت « جيزيل » طويلاً أسفًا على « جوليان » كما ندمت على ارتباطها بالدوق الذى لم تكن تحبه ، لكن بمجرد أن مرت اللحظات الأولى اندفعت إلى المستقبل الذى أعدته لنفسها ، وهى لا تفكر إلا فى

المجوهرات التى سيعطيها لها زوجها ، الحياة السعيدة التى ستحياها معه ، الترف الذى سيحيط بها ، إعجاب الجميع بها ، قارنت بين هذه الحياة وبين الحياة التى كانت ستعيشها بالقرب من « جوليان » وبالغت فى رتابتها وحرمانها .

بدأ الدوق يتعجل الزواج إلى درجة أنه بعد شهر واحد من وداع « جوليان » كانت « جيزيل » قد أصبحت دوقة « بالما » .

مضت الفترة الأولى فى سعادة دائمة ، لايراها أبواها إلا قليلاً فعاشا فى حزن وعزلة وخوف إذ كانا يعرفان أن دلال « جيزيل » سوف ينتهى بنفاد صبر الدوق ، وفعلاً انفجرت المشكلة الأولى فى أحد الأيام عندما كان يعانى الدوق من آلام الروماتزم فى ذراعه وطلب من « جيزيل » أن تقضى السهرة معه بالمنزل ، لكنها رفضت قائلة :

– مستحيل يا صديقى .. لابد أن تأتى معى إلى الحفلة الراقصة بالبلاط ، إن الدعوات تنهال على من كل جانب ، ثم إننى قد وعدت بتناول العشاء على مائدة الدوقات والأميرات ، فلا يمكن أن أتخلف هذا المساء ، مستحيل .

الدوق :

– لكن يا « جيزيل » إن حالتى لا تسمح بالذهاب ، إننى لا أستطيع أن أرفع ذراعى لأرتدى ثيابى ..

جيزيل :

لابد إذن أن أذهب بمفردى ، لا يمكن أن أتخلف عن حفلة البلاط .

الدوق :

– ستتركيننى بمفردى يا « جيزيل » بينما أنا كنت سأضحى بكل حفلات العالم ولا أبعد عنك .

جيزيل :

– أنت ، نعم إننى أصدقك ، لقد قضيت عشرين عامًا فى الرقص والتسلية ، أما أنا فأبدأ حياتى الآن ، فلم أتزوج إلا منذ ستة شهور .

الدوق :

– لكن يا « جيزيل » الحبيبة مازلت شابة وصغيرة لذهابك بمفردك إلى الحفل ، اكتبى إليهم واعتذرى أرجوك ، أرجوك يا « جيزيل » .

جيزيل :

– سيظن كل هؤلاء السادة أنك تشعر بالغيرة على .

الدوق :

– وما العيب فى هذا يا صديقتى ..

استمرت المناقشة بضع لحظات وبالرغم من إقناع وتوسلات الدوق ، إلا أنها تمسكت برغبتها ، فتزينت وارتدت ملابسها ، وذهبت إلى الحفل وهى تعتقد أنها فعلت الكثير من أجل زوجها ، الذى ظل يتأملها نصف ساعة وبقى بمفرده ، ولم يخلد إلى النوم إلا بعد عودتها ،

فاستقبلها بلطف وحنان ، أخذت تحكى له عن إعجاب الجميع بها ، أخذت تقبله وتلاطفه وهى تؤكد له أنها لن تفعل هذا ثانيا ، فعلت « جيزيل » كل ما فى وسعها لتعيد ثقة الدوق ، فكانت النتيجة أنه أطاعها وأكثر من أى وقت مضى .

لكن تجددت وتكررت المشكلات التى انتهت بجو من البرود ، وبعد سنتين من الزواج كانت « جيزيل » تخرج بمفردها ، بينما بحث الدوق من جانبه عن التسلية واللهو . فأخذ الاثنان ينفقان المال بجنون ، بدأت تضيع ثروة الدوق ، وعندما أفلس بالفعل ترك « جيزيل » لتعود إلى أبويها ، وانقضت الحياة وسط الدموع والإسراف .

* * *

تعاسة وصحوة جيزيل

بعد مرور عشر سنوات على زواج « جيزيل » جلست حزينة فى صالون أمها ، فى هذا المساء كانت « جيزيل » تبكى وحيدة ، وقد ارتدت ملابس الحداد على زوجها الذى توفى مؤخرًا ، بعد أن سقط من فوق الخيل . وهو على فراش الموت طلب أن يراها فصفح عنها من كل قلبه ولفظ أنفاسه الأخيرة وهو بين ذراعيها .

هذه النهاية المؤلمة أثرت بعمق فى « جيزيل » فحرصت على التدين الذى كانت قد فقدته وسط دوامة الحياة وملذاتها ، ظلت تبكى وحيدة عندما فوجئت بفتح الباب ودخل شاب ببطء وقد ظن أنه عند « ليونتين » . رفعت « جيزيل » عيْنَيْها الغارقتين بالدموع فصرخت وانطلقت ناحية الشاب الذى أخذت تصافحه بشـدة وتقول :

– « جوليان » ، عزيزى « جوليان » ، لقد ارسلك الله ، كم ندمت من أجلك ، كم أنا تعسة ، كم من مرات كنت أفكر فيك ومدى طيبتك معى ، لقد تسببت فى تعاسة كل من أحبونى . كما كنت السبب فى خراب وموت زوجى ، آه يا « جوليان » اصفح عن « جيزيل » التعسة ولا تدفعنى بعيدا عنك .

ومن شدة الانفعال فقدت « جيزيل » الوعى ، من هول الدهشة ، رفعها « جوليان » ووضعها على أحد المقاعد ، ثم تناول كوب ماء من على المائدة وأخذ يبلل جبينها ويديها ، فتحت « جيزيل » عينيها نظرت إليه فقال لها :

– بعد ما قلته الآن ، كنت أجهل وفاة زوجك ، بعد أن علمت بفقدان ثروتكم ، سافرت فى رحلة طويلة ، فور عودتى جئت لأرى أمك المسكينة التى كنت قد تركتها وهى حزينة عليك ، إننى سعيد لأنك عرفت أخيرًا أخطاءك وأنك مستعدة لإصلاحها خاصة فيما يخص أبويك . كما أشكرك على سعادتك لوجودى ، فلن أحبطك أبدًا ، لكن كم تغيرت يا « جيزيل » المسكينة ، طلعتك ، وجهك النضر قد اختفى ؛ لقد تركتك وأنت فى أوج شبابك وجمالك . فلم أرك منذ يوم وداعى الأخير هنا فى نفس هذا الصالون ، ها أنا أجدك تبكين وقد ارتديت ملابس الحداد ، مسكينة يا « جيزيل » لقد تألمت كثيرًا .

جيزيل :

– مرت بى لحظات كنت أظن أننى سعيدة ، بعد أن بكيت عليك فترة لم أفكر فيك مرة واحدة فلم تحمل لى ذكراك إلا الحزن ، لقد عانيت من حب لم أعرف كيف أتبادله معك ، لقد تألمت كثيرًا ، وسببت الخراب لزوجى ، عندما رجعت إلى نفسى كان الوقت قد فات ، لم تعد السعادة من نصيبى ، إننى الآن فى السابعة والعشرين من العمر ، انتهى الزمن بالنسبة لى ، لكننى عندما رأيتك الآن ، أشعر

ببعض السلوى ، أظن أنها النجدة التى بعثها الله لأعود إليه ، وأنت يا « جوليان » ماذا أصبحت خلال هذه السنوات العشرة ؟ هل تزوجت ؟ هل لك أطفال ؟

جوليان :

– لا يا « جيزَيل » ، لقد عشت طويلاً بمفردى في الريف ، لقد انشغلت بالعمل ، فعندما كنت أتردد على باريس كنت أخشى لقاءك ، لكننى لم أتوقع أن ألقاك اليوم أرملة .

جيزيل : (تبكى) :

– نعم يا « جوليان » ، لقد ندمت وتغيرت ، إن الماضى يفزعنى .

جوليان :

– أصلحى الماضى بالمستقبل ، ولتكونى السلوى لوالديك فى أيامهما الأخيرة ، سيصفحان عنك ..

دخلت السيدة « ليونتين » وبدت دهشتها كبيرة عندما رأت « جوليان » الذى كانت تظن أنه فى الشرق ، فأخبرته بأنباء الأسرة فالخالة « مونكلير » كانت قد توفيت منذ سنتين ، الصديق « توكامبيل » ومن شدة حزنه عليها أصيب بالشلل والشيخوخة .

أما بلانش » فقد رزقت بثلاثة أطفال و « لورانس » رزقت بأربعة .

ثم أضافت السيدة « ليونتين » :

– و « جيزيل » تقيم معنا منذ ثلاث سنوات بعد أن فقدت

زوجها ، منذ ذلك الوقت وهى مريضة ، ستجد أنها قد تغيرت ، إنها تشاركنا حياتنا وتعتنى بنا الشىء الذى يعوضنا عن أحزاننا ، فلم تعد تجذبها الحياة اللامعة .

جيزيل :

– لايمكن أن أغفر لنفسى الألم الذى سببته لكم .

ليونتين :

– السعادة التى تعطيها لنا الآن تنسينا كل ماتلومين نفسك عليه .

جيزيل :

– لقد عوقبت بقسوة ..

لم يتردد « جوليان » فى البقاء عدة أيام فى ضيافة السيد « جرفيل » والسيدة « ليونتين » ليشارك الأسرة أحاديثها ، ويرى بنفسه عودة السكينة إلى قلب « جيزيل » التى بدأت تستعيد صحتها ، تسترد ألوانها النضرة التى كانت قد فقدتها ، فإن أحاديثها مع « جوليان » جعلتها أكثر هدوءًا وأقل حزنًا . كان « جوليان » يحمل لها نفس المعزة التى شاركته إياها بصدق .

فى أحد الأيام قالت لنفسها لو كنت أحببت « جوليان » بنفس الطريقة ، عندما كنت فى السابعة عشرة من العمر ما حدث ماحدث ، قال لها « جوليان » :

– لماذا هذا الحزن ؟ وفيما تفكرين يا « جيزيل » ؟

لم تسمعه « جيزيل » وهو يدخل ، فانتفضت .

– كنت أفكر فى الماضى الحزين يا « جوليان » .

جوليان :

– مرة أخرى هذا الماضى الذى لا يفارقك ، فلماذا لا تفكرين فى المستقبل ؟

جيزيل :

– ليس لى مستقبل لقد أضعته ، لقد تزوجت بغرور وأنانية برجل لم أكن أحبه ، وندمت على الذى كنت أفضله ، لقد أسفت عليه سنوات ، ندمت عليه دائمًا .

وانهمرت « جيزيل » فى البكاء .

قال « جوليان » وهو يأخذ يدها المبللة بالدموع :

– « جيزيل » العزيزة ، أحب حزنك لأنه يثبت أنك تغيرت حقًّا ، لكننى أحب أيضًا فرحتك التى لا تعرف القلق ، الرجل الذى أسفت عليه والذى أحببته أليس هنا يتمنى سعادتك . أنه يحبك بكل قواه ، ويطلب منك العيش فى سعادة معه فى حياة مشتركة ، إذا كنت مازلت تحبيننى كما كنت منذ عشر سنوات فقولى لى يا « جيزيل » ، إنك ستحققين كل أمنياتى .

جيزيل :

– هل أنت جاد فيما تقول يا « جوليان » ؟ هل تجد أننى جديرة بحمل اسمك ؟

جوليان :

– جديرة وأكثر من أى وقت مضى يا « جيزيل » الحبيبة ، لم أكن جاد فى حياتى أكثر من اليوم .

جيزيل :

– إذن يا صديقى هذه يدى ، إن قلبى لك دون أن يتقاسمه أحد سواك .

قبل « جوليان » هذه اليد التى طالما تمناها ، وطلب من « جيزيل » أن تترك له فرصة إبلاغ النبأ السعيد للسيد « جرفيل » والسيدة « ليونتين » اللذين لم يتأخرا فى تهنئة « جيزيل » وقبلاها بحنان .

وعرفت الأسرة كلها بنبأ الزواج ، ففرح الجميع وقدم لها أبواها هدية الزواج بدلاً من التى كانت قد أنفقتها مع ثروة الدوق . بعد موافقة « جيزيل » تم الزواج بعد فترة قليلة فى قصر « جرفيل » ولم يحضره إلا المقربون ، فلم تكن هناك احتفالات صاخبة .

قال « جوليان » « لجيزيل » بعد أن عادا من الكنيسة :

– لست نادمة أنك تخلصت من لقب الدوقة ؟ ألست نادمة بعض الشىء ؟

جيزيل :

– لست نادمة إلا على شىء واحد يا صديقى وهو أننى وافقت على حمل هذا اللقب مضحية بك من أجل غرورى فليسامحنى الله على أكبر غلطة فى حياتى .

جوليان :

لقد مسحت كل شيء بعد أن حملت اسمى اليوم يا « جيزيل » .

جيزيل :

– أتمنى من الله ألا أسبب لك التعاسة كما فعلت مع هذا الدوق المسكين .

جوليان :

– لست قلقًا بهذا الشأن يا « جيزيل » ، إن قلبك وروحك تبدآن حياة جديدة . لقد تعلمت كيف تحبين الله ومخلوقاته ، إننى واحد من هذه المخلوقات وأحب الله من كل قلبى .

كان « جوليان » على حق ، فلم تعش « جيزيل » حياة المجتمعات الزائفة بل كرست كل وقتها لسعادة زوجها وأطفالها وأبويها اللذين لم يفارقاها قط ، فقد رزقت « جيزيل » بثلاثة أطفال تلقوا تربية حسنة ، كانت الكبرى تشبه أمها فى طباعها إلا أنها تلقت ومنذ البداية تربية حازمة وحكيمة ، وعندما كان « جوليان » يريد مداعبة « جيزيل » كان يقول وهو يتحدث عن ابنته « يا لها من طفلة مدللة » .

وتجيب جيزيل :

– آه ، يا « جوليان » ، أرجوك لا تناديها هكذا ، فإذا سمعك أبى وأمى لشعرا بالضيق ، أنت تعرف أنهما كانا ينادياني بذلك عندما كنت طفلة شريرة ..

ويضحك « جوليان » من كل قلبه فى سعادة .

رقم الإيداع	٢٠٠٥/٢١٧٠٧
الترقيم الدولى	977-02-6876-3 ISBN

٧/٢٠٠٥/٥٦

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)